

# الرسول في رمضان

الرسول والأهله • الرسول والصيام • الرسول والعبادة  
الرسول وليه القدر • الرسول مع القرآن • الرسول والأعياد

مكتبة الصفا

١٢٧ ميدان الأزهر - القاهرة  
١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر  
٣٦٨٤١٠٤ - ٠١٠١٤٣١١١٤



# الرسول صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى رمضان

تأليف

أ. د. محمد سيد أحمد المسير

مَكْتَبَةُ الصِّفَا

١٢٧ ميدان الأزهر - القاهرة

١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر

ت : ٠١٠١٤٣١١١٤ - ٣٦٨٤٦٠٤

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

رقم الإيداع : ١٥٨٩١ / ٩٩

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ..

أما بعد...

فيسرني أن أقدم هذا الكتاب «الرسول ﷺ في رمضان» في طبعته الثالثة داعياً المولى سبحانه وتعالى أن ينفعنا بالعلم الشريف وسيرة الرسول العظيم ..

وقد جاء الكتاب في ستة مباحث هي :

- الرسول والاهلة .
- الرسول والصيام .
- الرسول والعبادة في رمضان .
- الرسول وليلة القدر .
- مع القرآن في شهر القرآن .
- الرسول والاعياد .

وقد حاولنا أن نقدم صورة صادقة وأمينة لحياة الرسول ﷺ في هذا الشهر الكريم، كي نستنهض الهمم إلى علياء الخلق المحمدي، استجابة لقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الاحزاب: ٢١] .

القاهرة في ١٦ من رجب سنة ١٤٢٠ هـ

١٩٩٩/١٠/٢٥ م

أبو حذيفة

أ.د. محمد سيد أحمد المسير



# سَيِّدُ الدِّينِ الْخَزَّالِ الْخَمِينِ

## مقدمة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .. أما بعد :

فإن سيدنا محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، ومهما حاول المؤرخون تحديد رسالته وأهداف دعوته فإنهم يتضاءلون أمام ذلك التحديد الإلهي في قوله جل شأنه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] . وقوله عز اسمه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] ..

ومهما حاول الواصفون أن يبينوا ملامح الشخصية المحمدية وأخلاق سيرته العطرة فإنهم يتصاغرون أمام ذلك الوصف الإلهي في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وقوله سبحانه: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٢-٤]

ومهما حاول المادحون استخدام القول البديع والأسلوب الرائع والبيان الأخاذ فإنهم يتوارون أمام ذلك الفخر الإلهي في قوله جل شأنه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] .

وإن سيدنا محمداً ﷺ - من بين شخصيات العالم قديماً وحديثاً - حقيقة تاريخية أجمع المؤرخون - أعداؤه وأحبابه - على معالم حياته وخصائص سيرته من مولده إلى انتقاله إلى الرفيق الأعلى ..

وقد اهتم المسلمون بوجه خاص بكل ما صدر عنه ﷺ من قول أو فعل أو تقرير وعرفوا دقائق حياته في ذاته وأسرته .. في حضرته وسفره .. في سلمه وحره .. في مدخله ومخرجه، وقدموا للعالم صورة حياته الشريفة كاملة غير منقوصة بما تحمل من قيم ومبادئ ومثل هي الحق كله والخير بأجمعه والفضيلة في أبهى صورها ..

وقد تنوعت كتابة السيرة النبوية من السرد التاريخي، إلى فقه السيرة، إلى الشمائل المحمدية .. إلى غير ذلك، ولكنها جميعاً تنطلق من تأكيد القدوة الحسنة في هذا النبي الكريم، والتي سجلها القرآن المجيد في قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن

كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿[الاحزاب: ٢١]

ونحن نشرف بالكتابة عن فلسفة السيرة في دراسة موضوعية تستنهض الهمم إلى علياء الخلق المحمدي وشرف الحياة النبوية.. ونقدم اليوم للقارئ الكريم أولى هذه السلسلة تحت عنوان «الرسول في رمضان».

وقد كانت مصادرنا في الكتاب هي القرآن المجيد وتفسيره، والسنة الصحيحة وشرحها واجتهادات العلماء الأئمة..

وقد حرصنا على أن يكون العرض مناسباً، والكلمة هادفة، والتعبير ميسراً في إطار موضوعية الدراسة وشرف الهدف الذي نسعى إليه وهو القدوة الحسنة في حياة الرسول الكريم..

﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿[آل عمران: ١٩٣-١٩٤].

القاهرة في ٣ من شعبان سنة ١٤٠٩ هـ  
١١ من مارس ١٩٨٩ م

أبو حذيفة

د. محمد سيد أحمد المسير

أستاذ العقيدة والفلسفة  
كلية أصول الدين  
جامعة الأزهر



## البحث الأول الرسول والأهله

- الهلال فى اللغة.
- الشهر القمرى.
- سؤال عن الأهله.
- مواقيت للناس والحج.
- استطلاع الهلال.

## الهلال فى اللغة

الهلال : فى أول ليلة والثانية والثالثة، ثم هو قمر.  
وأهلُّ الهلال : رؤى، واستهل : طلب رؤيته.  
والإِهلال : رفع الصوت عند رؤية الهلال، ثم استعمل لكل صوت، وتهلل وجه  
الرجل : تَلالًا، وتهللت دموعه : سالت، وهلل الرجل تهليلًا : قال : لا إله إلا الله.  
وأهلُّ بالعمرة أو الحج : رفع صوته بالتلبية.  
وأهلُّ بالتسمية على الذبيحة : ذكر اسم الله عليها.  
وأهلُّ الصبى واستهل : إذا رفع صوته بالبكاء<sup>(١)</sup>.

---

(١) راجع :

(أ) أساس البلاغة للزمخشري، طبعة دار الفكر- بيروت.  
(ب) معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، طبعة دار الفكر.

## الشهر القمري

السنة اثنا عشر شهراً قمرياً.. وقد جاء ذلك في القرآن العظيم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [التوبة: ٣٦].

والشهر القمري لا يزيد عن ثلاثين ليلة، ولا ينقص عن تسع وعشرين، وفي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا، وعقد الإبهام في الثالثة، والشهر هكذا وهكذا وهكذا، يعني تمام الثلاثين».

والمراد بقوله: (هكذا) الإشارة بأصابع يديه العشرة.

وذات يوم أقسم الرسول ﷺ أن لا يدخل على أزواجه شهراً، قالت عائشة رضي الله عنها: «لما مضت تسع وعشرون ليلة أعدهن دخل على رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً، وإنك دخلت من تسع وعشرين أعدهن، فقال: إن الشهر تسع وعشرون».

أى أن هذا الشهر الذى وقعت فيه تلك الحادثة كان تسعاً وعشرين..

والمسلمون مطالبون باستطلاع الهلال عقب تسع وعشرين ليلة من كل شهر قمري، فإن شهدوا الهلال كان ذلك بدءاً للشهر التالى، وإلا أتموا الشهر الذى هم فيه ثلاثين. ففى صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبى ﷺ: «الشهر تسع وعشرون، فإن رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غم عليكم فاقدروا له». وفى رواية: «فاقدروا ثلاثين».

لكن جاء حديث شريف قد يفهمه البعض فهماً خاطئاً، ألا وهو حديث أبى بكر رضى الله عنه - كما فى صحيح مسلم - قال: قال رسول الله ﷺ: «شهرنا عيد لا ينقصان: رمضان وذو الحجة». فقد يفهم البعض أن المراد أن هذين الشهرين (رمضان وذو الحجة) لا ينقصان عن ثلاثين ليلة.. وهذا غير صحيح، فالمسألة مرتبطة برؤية الهلال، فمتى تحققت دخل الشهر، سواء كان بعد تسع وعشرين أو ثلاثين.

ومعنى الحديث أن الأجر والثواب المرتب على الطاعة فى هذين الشهرين من الصيام والحج لا ينقص، سواء تم الشهر أو نقص فى لياليه.

وما يقوله العامة من أنه إذا تم أحد الشهرين ثلاثين كان الآخر تسعاً وعشرين، فليس مراداً من الحديث الشريف، وقد يكون واقعاً فى بعض السنوات.

## سؤال عن الأهله

أخرج أبو نعيم وابن عساكر أن معاذ بن جبل وثعلبة بن عثمة— وهما من الانصار— قالوا: يا رسول الله، ما بال الهلال يبدو ويطلع دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستوى ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان، لا يكون على حال واحدة.

فنزلت هذه الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

إن الصحابة رضی الله عنهم أرادوا من سؤالهم تفسير هذه الظاهرة الفلكية، واكتفى القرآن المجيد بأن أرشدهم إلى حكمتها ومنافعها، لأن هذا هو الأجدى لهم، وليس من شأن القرآن أن يقدم تفسيرات فلكية، فهو كتابة هداية، ويستطيع الناس بالبحث والدراسة أن يكتشفوا هذه الظواهر ويفسروها بجهدهم الخاص ووسائلهم المتاحة، والعرب يومئذ كانوا أمة أمية.

## مواقيت للناس والحج

الاهله معالم يعرف الناس بها معاملاتهم، وترتبط بها أركان الدين، وتتعلق بها أحكام فقهية.

فالحج أشهر معلومات هي: شوال، وذو القعدة، وعشر من ذى الحجة، والصيام في شهر رمضان، والزكاة تجب بانقضاء الحول.

وعدة النساء في الطلاق والوفاء تحدد بمواقيت خاصة، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يُمْسِنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ [الطلاق: ٤]  
وقال جل شأنه:

﴿وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

وجعل الله من السنة أربعة أشهر حرماً— أى معظمة— يحرم فيها القتال والظلم، وهي: ذو القعدة، وذو الحجة، والحرم، ورجب.. قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

لكن العرب في جاهليتهم اخترعوا النسيء، وهو تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر لحاجتهم إلى شن الغارات وطلب الثار، فما كانوا يصبرون عن القتال هذه الفترة الزمنية من ذى القعدة إلى الحرم، فسوّل لهم الشيطان أن يسموا الحرم صفرًا ليحل فيه القتال وينقلوا حرمة شهر الحرم إلى شهر صفر، ومنهم من كان يلتزم بحرمة ذلك سنة دون أخرى، ومنهم من رفض تخصيص الأشهر الأربعة بالتحريم وجعلها أربعة مطلقة في السنة حسب أهوائهم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلِلُونَ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلِلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٧].

وقد عرف في تاريخ العرب حروب الفجار بين كنانة وقيس، لأنهم فجعروا فيها واستحلوا المحارم بينهم واقتتلوا في الأشهر الحرم ..

وأول فجار وقع في أحد مواسم الحج بعكاظ، حين جلس بدر ابن معشر الغفاري، وجعل يتطاول على الناس ثم مد رجله وقال: أنا أعز العرب، فمن زعم أنه أعز مني فليضربها بالسيف .

فوثب رجل من بنى نصر بن معاوية فضربه بالسيف على ركبته فقطعها، فقامت الحرب واشتعل أوراها<sup>(١)</sup>.

وتمضى الأعوام ويأتى العام العاشر من الهجرة فيعتدل الزمن ويعود الأمر إلى أصله، وتقع الشهور في مواقيتها، ويقول الرسول ﷺ: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان» ..

وإنما أضاف الرسول الكريم رجب إلى قبيلة مضر لأنهم كانوا متمسكين بتعظيمه دون غيرهم .

(١) راجع كتاب (أيام العرب في الجاهلية) للأساتذة / محمد أحمد جاد المولى وعلى البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار الباز، ص ٣٢٢ .

## استطلاع الهلال

تكليف الله تعالى لعباده إنما هو بالمستطاع، والمراد شرعاً من استطلاع الهلال هو رؤيته بالابصار وإخبار الناس به على وجه اليقين، وإن لفظ الهلال مأخوذ من الظهور ورفع الصوت بالإخبار برؤيته، يقال: أهل بالحج أو العمرة إذا رفع الصوت بالتلبية حين النية. فمجرد طلوع الهلال في الأفق حيث لا يراه أحد لا يتعلق به حكم شرعى، وبالتالي فلسنا مكلفين شرعاً باستخدام الآلات والأجهزة لكى نرى الهلال عن بعد بعيداً.. وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «لاتصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غمى عليكم فاقدروا له».

ومعنى (غمى) أى حال بينكم وبينه غيم، واختلف العلماء فى معنى (فاقدروا له) - كما حكى الإمام النووى:

فقال طائفة من العلماء: معناه ضيقوا له وقدروه تحت السحاب، ومن قال بهذا أحمد بن حنبل وغيره ممن يجوز صوم ليلة الغيم عن رمضان، وقال ابن سريج وجماعة منهم مطرف بن عبد الله وابن قتيبة وآخرون: معناه: قدروه بحساب المنازل.

وذهب مالك والشافعى وأبو حنيفة وجمهور السلف والخلف إلى أن معناه: قدروا له تمام العدد ثلاثين يوماً، قال أهل اللغة: يقال: قدرْتُ الشيء: أقدَرُهُ وأقدرُهُ وقدرْتُهُ وأقدرْتُهُ، بمعنى واحد، وهو من التقدير.

قال الخطابى: ومنه قول الله تعالى: ﴿فقدَرْنَا فدعم القادرون﴾.

واحتج الجمهور بالروايات المذكورة: ﴿فأكملوا العدة ثلاثين﴾، وهو تفسير لقوله «فاقدروا له». ولهذا لم يجتمعا فى رواية، بل تارة يذكر هذا، وتارة يذكر هذا، ويؤكداه الرواية السابقة: «فاقدروا له ثلاثين».

قال المازرى: حمل جمهور الفقهاء قوله ﷺ: (فاقدروا له) على أن المراد إكمال العدة ثلاثين كما فسرته فى حديث آخر، قالوا: ولا يجوز أن يكون المراد حساب المنجمين، لأن الناس لو كلفوا به ضاق عليهم، لأنه لا يعرفه إلا أفراد، والشرع إنما يعرف الناس بما يعرفه جماهيرهم، والله أعلم<sup>(١)</sup>.

(١) صحيح مسلم بشرح النووى، ج٧، ص ١٨٩.

وليكن معلوماً أن هذا الاختلاف كله إنما هو في ليلة الغيم والسحب، أما حيث يكون الجو مكشوفاً وصحواً ثم لم ير الهلال فيجب إكمال العدة ثلاثين..

وحصول العلم بظهور الهلال يرجع إلى الحس والخبر.

فمن رأى الهلال وتأكد منه وكان منفرداً فجمهور العلماء على أنه يعمل برؤية نفسه..

وأما ثبوت الرؤية لدى عامة المسلمين فتحتاج إلى شهود جماعة يقع اليقين بخبرهم. وفي مذهب أبي حنيفة أنه إذا كانت السماء خالية من الموانع فلا بد من رؤية جماعة كثيرين يقع بخبرهم العلم، وتقدير الكثرة منوط برأى الإمام أو نائبه، ولا يلزم عدد معين على الراجح..

فيجب أن يوكل استطلاع الهلال لجماعة من أهل العلم والدين ويستشرفون المناطق المرتفعة، ولا يترك أمر الرؤية لعوام الناس وأعراب البادية للشبهة المتمكنة فيهم، فإن الدين أجل من أن يؤخذ بشهادة من لا يحسن الوضوء أو من لا يخشى الله حق خشيته.

ومن القضايا التي كثر الحديث فيها: هل لكل بلد رؤيته، أم أنه إذا ثبت الهلال في بلد ثبت حكمه لباقي البلاد؟

وليس في القضية نص صريح، وكل ما ورد أن أم الفضل بنت الحارث بعثت كريماً إلى معاوية بالشام. قال- كما في مسلم-: فقدمت الشام فقضيت حاجتها واستهل على رمضان وأنا بالشام، فرأيت الهلال ليلة الجمعة، ثم قدمت المدينة في آخر الشهر فسألني عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ثم ذكر الهلال فقال: متى رأيت الهلال؟ فقلت: رأيناه ليلة الجمعة.

فقال: أنت رأيته؟

فقلت: نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية.

فقال: لكننا رأيناه ليلة السبت، فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه.

فقلت: أو لا تكتفى برؤية معاوية وصيامه؟

فقال: لا، هكذا أمر رسول الله ﷺ.

وعلق الإمام النووي على هذا الحديث بقوله: والصحيح عند أصحابنا أن الرؤية لا



تعم الناس، بل تختص بمن قرب على مسافة لا تقصر فيها الصلاة.

وقيل: إن اتفق المطلع لزمهم.

وقيل: إن اتفق الإقليم وإلا فلا.

وقال بعض أصحابنا: (تعم الرؤية في موضع جميع أهل الأرض، فعلى هذا نقول، وإنما لم يعمل ابن عباس بخبر كريب لأنه شهادة فلا تثبت بواحد، لكن ظاهر حديثه أنه لم يرد له هذا، وإنما رده لأن الرؤية لم يثبت حكمها في حق البعيد)<sup>(١)</sup>.

ونحن نرى أن المسألة— كما هو واضح— ليس فيها قاطع شرعى، وأصبحت الدولة الآن مترامية الأطراف، ومن المعلوم فقهاً أن حكم الحاكم يرفع الخلاف، فمتى ثبت الهلال في بلد إسلامي ثبت حكمه لباقي البلاد الإسلامية التي تشترك معها في جزء من الليل طالما نقل الخبر في حينه على جهة اليقين.

ونقترح إقامة مرصد إسلامي في مكة المكرمة يتولى تحديد الشهور القمرية وإبلاغ كافة المسؤولين في العالم الإسلامي لحظة الثبوت، وهذا أمر ميسور الآن مع تقدم الاتصالات السلكية واللاسلكية.

وبالنسبة للأقليات الإسلامية في مناطق لا تشترك مع العالم الإسلامي في جزء من الليل يكون لها رؤية خاصة تتولاها المراكز الإسلامية الموجودة في هذه البلاد..

ومن المعلوم شرعاً أن الصوم يجب من طلوع الفجر إلى غروب الشمس طال النهار أو قصر، فحيث يوجد الليل والنهار في مدى الأربع والعشرين ساعة يجب الالتزام بالآية الكريمة: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]

لكن إذا كانت الشمس لا تشرق إلا بعد شهور أو لا تغرب إلا بعد شهور، فيلزم حينئذ قياس الليل والنهار على أقرب البلاد إلى هذه المناطق.



(١) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٧، ص ١٩٧.



## البحث الثاني

### الرسول والصيام

- استقبال رمضان.
- أخلاق الصائم.
- الفطور والسحور.
- المعاشرة الزوجية.
- الوصال في الصوم.
- النيابة في الصوم.
- مشاركة الأطفال.
- الفطر في رمضان.
- الصيام في غير رمضان.
- أيام يستحب صيامها.
- أيام يمتنع صيامها.
- صوم الكفارات.

## الرسول واستقبال رمضان

يحق لنا أن نرهف السمع إلى نداء رسول الله ﷺ قبيل رمضان، حتى نتهيأ لذلك الشهر الكريم، ونتعرف على معالم عظمة هذا الشهر، ونقف على ما أعده الله لعباده الصائمين.

ففى حديث رواه ابن خزيمة والبيهقى وابن حبان عن سلمان رضى الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فى آخر يوم من شعبان فقال: «يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك. شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر، جعل الله تعالى صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزداد المؤمن فيه، من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء.

قالوا يا رسول الله، أليس كلنا لا يجد ما يفطر الصائم؟

فقال رسول الله ﷺ: يعطى الله عز وجل هذا الثواب من فطر صائماً على تمر أو شربة ماء أو مذقة لبن.

وهذا شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، فمن خفف عن مملوكه فيه غفر الله تعالى له وأعتقه من النار، استكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم عز وجل، وخصلتين لا غنى لکم عنهما، أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم عز وجل فشهادة أن لا إله إلا الله وأن تستغفروه، وأما الخصلتان اللتان لا غنى لکم عنهما فتسألون الله تعالى الجنة وتعودون به من النار.. ومن سقى صائماً سقاه الله تعالى من حوضى شربة لا يظلم حتى يدخل الجنة).

أظن هذه الخطبة الجامعة لا تحتاج إلى تعليق، فهى واضحة المعنى، جلية الأسلوب، استوعبت كل ما يمكن أن يوجه إلى المسلمين لاستقبال شهر رمضان.. والتهيؤ لهذه العبادة الروحية السامية..

والصيام أحد أركان الإسلام، وقد خصه الله تعالى بإضافته إليه، فقال الرسول ﷺ—

كما فى الحديث المتفق عليه- قال الله عز وجل: ( كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به ) .

وفى توجيه هذه الإضافة أقوال للعلماء، منها أنه لم يعبد أحد غير الله تعالى به فلم يعظم الكفار فى عصر من الأعصار معبوداً لهم بالصيام وإن كانوا يعظمونه بصورة الصلاة والسجود والصدقة وغير ذلك .

وقيل: لأن الصوم بعيد عن الرياء، لا يطلع عليه إلا علام الغيوب، وكلما كانت العبادة أخفى كان الثواب أجزل .

وقيل: لأن فى الصيام تشبهاً بالملا الأعلى حيث يستغنى الإنسان عن الطعام والشراب والشهوة فترة زمنية حددها الله تعالى بقوله: ﴿ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ ﴾ [البقرة: ١٨٤] .

ولكل هذه المعانى وغيرها ضاعف الله تعالى ثواب الصائمين، والكريم إذا أخبر بأنه يتولى بنفسه الجزاء اقتضى عظم قدر الجزاء وسعة العطاء . وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به، يدع شهوته وطعامه من أجل، للصائم فرحتان فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلاف فيه أطيب عند الله من ريح المسك » .

## الرسول ﷺ وأخلاق الصيام

علمنا رسول الله ﷺ أخلاق الصائمين، وبين لنا عظم فضل رمضان، وحثنا على أبواب الخير التى تتجلى فى هذا الشهر الكريم..

وقد حدثتنا كتب الصحاح أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين».

وهذا الحديث الشريف إشارة إلى مسالك البر وفضائل النفس التى تكتسب فى هذه الأيام المباركة، فقد حظى هذا الشهر باللون من الطاعات والخيرات لا تقع مجتمعة إلا فيه، وبالتالى فإن الناس ينكفون عن كثير من المخالفات.

والصيام يحقق الخشية من الله، والرقابة الذاتية التى تجعل المسلم يدع طعامه وشرابه من أجل الله.. وتلك الفضيلة هى المقصودة من وصية رسول الله ﷺ للشباب حين قال: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».

فهذه الوصية الكريمة ليس مقصوداً بها القضاء على الغريزة، فذلك غير وارد، وإنما هى الحكمة السامية لمدرسة الصيام، حيث يتعلم المسلم عزيمة الرشد ويقتله الضمير.

كذلك فإن من شأن الصائمين أن يتخلقوا بأخلاق الله، ويتأدبوا بأدب رسوله، فيكون الوقار والسكينة شعارهم، فلا تصدر إلا الكلمة الطيبة والنصيحة الصادقة، ولا تكن النفوس إلا الالفة والمحبة والصفاء..

ومن هنا نفهم قول رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه».

ونفهم أيضاً توجيهه عليه الصلاة والسلام لمعشر الصائمين: «فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم».

وفى هذا إشارة إلى حسن المعاشرة، وإصلاح ذات البين، وتأليف القلوب، وحسن الاعتذار.

والمراد بقول: (إني امرؤ صائم) أن يقولها الصائم بلسانه جهراً ليسمعه الشاتم والمقاتل فينزجر غالباً، أو يقولها في نفسه ليمنعها من مقابلة الشر بمثله، ويصون صومه عن المكدرات.

وليكن معلوماً أن أخلاق الصائم ليست وقفاً على شهر رمضان، وإنما هي مطلوبة في كل وقت وحين، ولكنها تتأكد في رمضان وبصيام رمضان.

هذا وقد قسم العلماء الصوم إلى مراتب التماساً من هدى رسول الله ﷺ، فقال الإمام الغزالي في الإحياء<sup>(١)</sup>:

«اعلم أن الصوم ثلاث درجات: صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص..»

أما صوم العموم: فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة.

وأما صوم الخصوص: فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام.

وأما صوم خصوص الخصوص: فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية، وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية، ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله عز وجل واليوم الآخر، بالفكر في الدنيا إلا دنيا تراد للدين، فإن ذلك من زاد الآخرة وليس من الدين حتى قال أرباب القلوب: من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيعة، فإن ذلك من قلة الوثوق بفضل الله عز وجل وقلة اليقين برزقه الموعود، وهذه هي مرتبة الأنبياء والصديقين والمقربين، ولا يطول النظر في تفصيلها قولا ولكن في تحقيقها عملا، فإنه إقبال بكنه الهمة على الله عز وجل، وانصراف عن غير الله سبحانه، وتلبس بمعنى قوله عز وجل: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].

ولكل هذه المعاني وغيرها خص الله عباده الصائمين المحققين لمثل هذه الأخلاق بخصوصية كبرى عبر عنها الرسول ﷺ، كما جاء في صحيح مسلم: «إن في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل معهم أحد غيرهم، يقال أين الصائمون. فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد».

(١) إحياء علوم الدين ج ١ ص ٢٣٥ ط دار إحياء الكتب العربية.

## الرسول في فطوره وسحوره

فى حديث رواه الترمذى والنسائى عن أنس رضى الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلى، فإن لم يكن فعلى تمرات، فإن لم يكن حسا حسوات من ماء». وورد فى عدد التمرات أنها ثلاث..

وهذا أدب نقتدى فيه بالرسول الكريم، وهو تعجيل الفطر عقب تحقق غروب الشمس، فذلك أنشط للصائم، لأن الإنسان بعد أداء صيام اليوم قد يعتريه فتور لا يتناسب معه أداء صلاة المغرب على المخصصة، وأيضاً فإن استشعار المسلم بأداء الصوم يقتضى أن يعلم بانتهاء الوقت المحدد وأن يخرج من الصوم لكى يفرح بتوفيق الله له، وهذا الخروج من الصوم لا يتحقق إلا بتناول الطعام الذى كان محظوراً عليه..

ويتحقق تعجيل الفطر بتناول أى شئ يقطع الصوم، كتمرات، أو بعض الماء، ثم يصلى بالمغرب، وبعدها يتناول طعامه بالكامل.

قال ابن القيم: «وهذا من كمال شفقتة ﷺ على أمته ونصحهم، فإن إعطاء الطبيعة الشئ الخلو مع خلو المعدة أدعى إلى قبوله وانتفاع القوى به ولاسيما القوة الباصرة فإنها تقوى به، وحلاوة المدينة التمر، ومرباهم عليه، وهو عندهم قوت وأدم، ورطبه فاكهة، وأما الماء فإن الكبد يحصل لها بالصوم نوع يبس، فإن رطبت بالماء كمل انتفاعها بالغذاء بعده، ولهذا كان الأولى بالظمان الجائع أن يبدأ قبل الأكل بشرب قليل من الماء مع ما فى التمر والماء من الخاصية التى لها تأثير فى صلاح القلب لا يعلمها إلا أطباء القلوب» (١).

هذا ولا بأس بأن يتم الإنسان فطره كاملاً ثم يصلى المغرب إذا كان فى حاجة إلى الطعام ويشق عليه إحسان الصلاة مع انتظار الطعام، بل إن الأولى فى مثل هذه الحال تناول الطعام. وقد أخرج ابن أبى شيبه عن أبى هريرة وابن عباس أنهما كانا يأكلان طعاماً وفى التنور شواء، فأراد المؤذن أن يقيم الصلاة، فقال له ابن عباس: لا تعجل، لانقوم وفى أنفسنا منه شئ، وفى رواية: «لثلا يعرض لنا فى صلاتنا».

وهذا هو فقه حديث رسول الله ﷺ المتفق عليه: «إذا قُرب العشاء وحضرت الصلاة فابدأوا به قبل أن تصلوا صلاة المغرب، ولا تعجلوا عن عشائكم».

(١) زاد المعاد، ١، ص ١٦٠، ط المطبعة المصرية.



وروت عائشة رضی الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لأصلاة بحضرة الطعام» .  
 وإذا كان من أدب الرسول الكريم تعجيل الفطر فإن تأخير السحور هدى نبوى كريم،  
 وفى صحيح الحديث: «تسحروا فإن فى السحور بركة» .  
 وفى الحديث المتفق عليه: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر» .  
 زاد الإمام أحمد: «وأخروا السحور» .

والبركة فى تأخير السحور ظاهرة، لأنه يقوى على الصيام ويخفف المشقة، ولأنه  
 يتضمن الاستيقاظ والذكر والدعاء فى ذلك الوقت الشريف، وقت تنزل الرحمت  
 والنفحات، وفيه التاهب لصلاة الفجر .

وقال زيد بن ثابت كما أخرجه مسلم: «تسحرنا مع رسول الله ﷺ ثم قمنا إلى  
 الصلاة .. فسئل: كم كان قدر ما بينهما؟ قال: خمسين آية» .

وليكن معلوماً أن الليل كله من غروب الشمس إلى طلوع الفجر محل لتناول الطعام  
 والشراب وكل شيء .. فالله تعالى قد جعل للصوم بدءاً ونهاية، فهو يبدأ بطلوع الفجر  
 وينتهى بغروب الشمس، قال تعالى: ﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَأَتَغُفُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا  
 وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى  
 اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧] .

والمراد بالخيط الأبيض: ضوء الصباح، والمراد بالخيط الأسود: سواد الليل .  
 وعلى هذا فشأن المسلم أن يتحرى معرفة طرفى النهار يقيناً أو ظناً غالباً حتى تصح  
 عبادته، ويترتب على ذلك أن من تسحر ظاناً بقاء الليل ثم تبين له طلوع الفجر وأن  
 سحوره وقع نهاراً وجب عليه أن يقضى يوماً آخر بعد رمضان، وعليه أيضاً أن يمسك  
 بقية يومه، ولا يحل له تناول الطعام خلال النهار بعد ذلك، لأن لشهر رمضان حرمة .  
 وأيضاً فمن أفطر ظاناً أن النهار قد انقضى وأن غروب الشمس قد تحقق ثم ظهر له  
 خلاف ذلك، وجب عليه أن يقضى يوماً آخر بعد شهر رمضان ..  
 وهو كله بخلاف الناسى الذى أكل أو شرب ناسياً فى نهار رمضان، فإن صومه  
 صحيح ولا قضاء عليه، لقول الرسول الكريم: «من نسى وهو صائم فأكَل أو شرب فليتم  
 صومه فإنما أطعمه الله وسقاه» (١) .

(١) جمهور العلماء لا يفرقون بين الفرض والنفل فى الأكل ناسياً ويفسرون الأمر بإتمام الصوم أى صحته  
 -ويرى الإمام مالك بطلان الصوم ووجوب القضاء ويحمل الحديث على رفع الإثم، وبعض المالكية يفرق  
 بين الفرض والنفل فيصح صيام الفرض مع الأكل ناسياً ويبطل صيام النفل .

## المعاشرة الزوجية في رمضان

أخرج مسلم في صحيحه أن أبا يونس مولى عائشة رضى الله عنها أخبر عنها أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يستفتيه وهى تسمع من وراء الباب، فقال: يا رسول الله، تدركنى الصلاة وأنا جنب، أفأصوم؟ فقال رسول الله ﷺ: وأنا تدركنى الصلاة وأنا جنب فأصوم، فقال الرجل: لست مثلنا يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال عليه الصلاة والسلام: والله إنى لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقى.

هذا الحوار مع الرسول الكريم يبين حكماً شرعياً يتعلق بمن أدركه الفجر في رمضان وهو جنب لم يغتسل.. ما حكمه؟

من المعلوم فقهاً أن الصيام فى مفهومه الشرعى هو الامتناع عن شهوتى البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية التعبد لله سبحانه وتعالى، ولا يشترط له الطهارة الفعلية، وقد أباح الله تعالى الأكل والشرب والمعاشرة الزوجية إلى طلوع الفجر فقال: ﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ وَأَتَفَّؤْا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ومعلوم أنه إذا جاز الجماع إلى طلوع الفجر لزم منه أن يصبح الإنسان جنباً ويصح صومه لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾.

والحديث الذى معنا يؤكد هذه الحقيقة، وعندما حاول الرجل أن يتعلل ويقول: لست مثلنا يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر.. بين له الرسول ﷺ أن مواقف الالتزام أمام شرع الله عامة بلا تفرقة، وأن الرسول الكريم أحرى الناس بهذا الالتزام وأكثرهم دقة فى تحرى الحلال والحرام.

وقد وردت روايات عن عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما بهذه الحقيقة، فقالتا: إن كان رسول الله ﷺ ليصبح جنباً من جماع غير احتلام فى رمضان ثم يصوم.

فالفصل من الجنابة إنما هو من أجل صلاة الفجر وليس له علاقة بالصوم، والمهم فقط هو أن تنتهى المعاشرة الزوجية قبل دخول وقت الفجر.

ويلحق بذلك الحكم من انقطع دم حيضها أو نفاسها فى الليل ثم طلع عليها الفجر قبل أن تغتسل صبح الصوم حينئذ ووجب إتمامه، لأن المانع الشرعى قد زال قبل الفجر،

وغسلها بعد ذلك إنما هو من أجل الصلاة.

ومما يجب التنبيه عليه أن المعاشرة الزوجية في نهار رمضان عن عمد تعد جريمة وكبيرة من الكبائر ويترتب عليها إفساد الصوم وكفارة مغلظة هي صيام شهرين متتابعين عن ذلك اليوم الذى أفطره بالمعاشرة، فإن عجز عن الصيام لعذر ظاهر وجب عليه إطعام ستين مسكيناً، لكل مسكين نصف قدح من غالب قوت البلد.. ثم يصوم يوماً آخر بدل اليوم الذى أفسده..

وهذه الكفارة خاصة بالزوج فقط، أما الزوجة فعليها الصوم بلا كفارة، لأن الكفارة غرم مالى يتعلق بالجماع كالْمهر، فلا تجب على المرأة..

وتحكى كتب الصحاح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: هلكت يا رسول الله، قال: ما أهلكك؟ قال الرجل: وقعت على امرأتى فى رمضان، قال عليه الصلاة والسلام: هل تجد ما تعتق رقبة؟ قال الرجل: لا، قال عليه الصلاة والسلام: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال الرجل: لا. قال عليه الصلاة والسلام: فهل تجد ما تطعم ستين مسكيناً؟ قال الرجل: لا. ثم جلس، فأتى النبى ﷺ بعرق فيه تمر<sup>(١)</sup> فقال الرسول الكريم: تصدق بهذا.

قال الرجل: على أفقر منا، فما بين لابتئها أهل بيت أحوج إليه منا، أى ليس هناك فى المدينة أحد أفقر من هذا الرجل.

فضحك النبى ﷺ حتى بدت أنيابه، ثم قال: اذهب فاطعمه أهلك.

وقد اختلف العلماء فيمن عجز عن الخصال الثلاث «العتق والصيام والإطعام» فذهب بعضهم إلى أنه لا شئ عليه ولا يستقر فى ذمته شئ حتى ولو استطاع بعد ذلك، لأن العبرة بوقت التكليف. وقال آخرون: إن الكفارة ثابتة فى ذمته لا تسقط إلى الموت أو اليسار، أيهما أقرب قياساً على سائر الحقوق والديون.

ومما يتعلق بموضوع المعاشرة الزوجية مسألة القبلة، وقد ثبت فى صحيح الحديث أن النبى ﷺ كان يقبل إحدى نسائه وهو صائم، ولا خلاف بين العلماء فى أنها لا تبطل الصوم ما لم ينزل، واحتجوا لذلك بحديث مشهور فى السنن، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: أرأيت لو تمضمضت.

ومعنى الحديث: أن المضمضة مقدمة الشرب وهى لا تفطر، فكذلك القبلة مقدمة الجماع وهى لا تفطر..

وقد جاء فى بعض الروايات عن عائشة رضى الله عنها: «وأىكم يملك أربه كما كان

(١) العرق بفتح العين والراء على الأصح: قفة أو مكتل يسع خمسة عشر صاعاً.

رسول الله ﷺ يملك أربه»، وقد فهم العلماء من معنى كلام أم المؤمنين أنه ينبغي الاحتراز عن القبلة، لأن الرسول يملك نفسه ويأمن الوقوع في قبلة يتولد عنها إنزال أو شهوة ونحن لا نملك ذلك.

ومن هنا فالقبلة جائزة ما لم تحرك ساكنًا، كان تكون قبلة وداع أو استقبال أو شفقة، فإن أثرت في النفس وأثارت فقد دخلت في المحظورات وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه».

فإن صاحبها إنزال فقد بطل الصوم، وعليه أن يمسك بقية يومه لحزمة الوقت، ثم يقضى يوماً آخر بعد شهر رمضان. وشأن المسلم الصادق أن يتم عبادته ولا يحبط عمله، وإن إبطار يوم من رمضان بغير عذر شرعي لا يعدله صيام الدهر..

وهنا تنبيه للمرأة المسلمة، فالصوم فترة زمنية تتميز بالصفاء الروحي والتخفف عن المطالب المادية، وقد أقسم الرسول ﷺ على أن تغيير رائحة الفم لدى الصائم تكون نكهته في الآخرة أطيب من المسك فقال: «والذي نفس محمد بيده لخلقة فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك».

وعلى هذا فإن المرأة المسلمة التي تدع ضروريات الحياة من مأكّل ومشرب طوال نهار رمضان امتثالاً للأمر الإلهي لا تجد حرجاً أو ضيقاً نفسياً في أن تدع المغالاة في التجمل أو استعمال المساحيق، مراعاة لأدب الصوم وحرمة الوقت واستشعاراً لجلال الفريضة.

وليكن معلوماً أن زينة المرأة وتجميلها إنما يكون لزوجها وأمام المحارم فقط، ولا يجوز شرعاً أن تتبرّج وتبدى زينتها أمام الأجانب، فإن ذلك فسق وإثم كبير.. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٩].

فالمرأة المحجبة تفرض احترامها على الناس بوقارها وسكينة، وتعرف بأنها عفيفة فلا يتطلع إليها الفساق.

والمرأة التي تكشف عما يجب أن يستتر من بدنّها أمام الرجال الأجانب ترتكب معصية وإثماً مبيناً، وتتضاعف هذه المعصية إذا وقعت في شهر رمضان المعظم..

ومن هنا نفهم قول رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه».

فالزور قولاً وعملاً يشمل المعاصي كلها..

## الوصال في الصوم

الوصال هو صوم يومين فأكثر من غير فطر، وقد نهى عنه الإسلام، لأن شرع الله يسر، وكان من هدى رسول الله ﷺ تعجيل الفطر وتأخير السجور، ليكون ذلك عوناً للصائم وأقوى له على أداء العبادة بنشاط، وحتى تتواصل مسيرة الحياة، كسباً للرزق، وضرباً في الأرض، وابتغاء من فضل الله.

ولكن رسول الله ﷺ واصل في بعض صيامه، فاقتدى به الصحابة رضي الله عنهم، فنهاهم المصطفى الكريم عن الاقتداء به في الوصال، لأنه مقام يصعب الالتزام به ويشق على الناس، وكان رسول الله ﷺ رفيقاً بأمته، رحيماً بهم..

ففي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ واصل في رمضان، فواصل الناس، فنهاهم، فقليل له: أنت تواصل. قال: «إني لست مثلكم، إني أظعن وأسقى».

وفي رواية: «وأياكم مثلي، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني». والمعنى أن الله تعالى يجعل له قوة ومقدرة على الوصال كقوة الطاعم الشارب، وليس على ظاهره من أنه ﷺ يأكل ويشرب وإلا ما كان مواصلاً..

وحين لم يتراجع المسلمون عن الوصال نهاهم الرسول بتجربة عملية ففي صحيح مسلم: «فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوماً ثم يوماً ثم رأوا الهلال، فقال: لو تأخر الهلال لزدتكم، كالمنكل لهم حين أبوا أن ينتهوا».

وفي رواية: «أما والله لو تمالأ لي الشهر لواصلت وصلاً يدع المتعمقون تعمقهم».

والمعنى أن الرسول الكريم واصل بهم يومين في آخر الشهر ثم ظهر الهلال وانتهى صوم رمضان، فأخبرهم الرسول الكريم أنه أراد أن يثبت لهم عملياً المفسدة المترتبة على الوصال وهي الملل من العبادة والتعرض للتقصير في بعض المأمورات الشرعية والواجبات الاجتماعية.

والمراد بالمتعمقين: المشتددون في الأمور، المجاوزون للحدود، فالعبادة إنما تكون على قدر وسع الإنسان، ومن غير إرهاق يعقبه ملل، ولذا جاء في بعض روايات أحاديث النهي عن الوصال: «فاكلفوا من العمل ما تطيقون» وعلى هذا فالوصال من الخصائص التي أبيحت للرسول ﷺ وحرمت على أمته..

## النية في الصوم

الصوم مرتبط بالقدره على الإمساك عن الطعام والشراب وسائر المفطرات، فمن عجز عن الصوم عجزاً مؤقتاً فله الفطر وعليه القضاء عند زوال العذر، وإن كان العجز ملازماً فله الفطر وعليه فدية إطعام مسكين.

ولا يجوز الصيام عن الحى مهما كان عذره، لكن من مات وعليه صيام واجب من رمضان أو من نذر أو غير ذلك فيمكن الصيام عنه لأحاديث صحيحة وردت في هذا الشأن..

فعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه».

والمراد بالولى القريب، سواء كان وارثاً أو غير وارث، ولو صام عنه أجنبى بإذن الولي جاز، وإلا فلا يجزئ.

والولى مخير بين الصيام والإطعام، ولا يجب عليه الصوم..

وعن ابن عباس رضى الله عنهما «أن امرأة أتت رسول الله ﷺ فقالت: إن أمى ماتت وعليها صوم شهر. فقال: أ رأيت لو كان عليها دين أكنت تقضينه؟ قالت: نعم. قال: فدين الله أحق بالقضاء».

وفى رواية: «فصومى عن أمك».

وقد تعدد السؤال فى هذه المسألة، فتارة كان السائل رجلاً، وتارة كان امرأة، وتارة عن شهر، وتارة عن شهرين، وتارة صوم شهر، وتارة صوم نذر.. وفى كل هذه الحالات كان جواب الرسول ﷺ بصحة صيام الحى عن الميت، وأنه يسقط ما وجب فى ذمة الميت..

وقد امتد هذا الحكم إلى الحج، فيجوز الحج عن الميت، وكذا عن الحى العاجز عجزاً كلياً..

وجاءت أحاديث كثيرة، منها ما رواه مسلم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضى الله

عنه قال : بينا أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ أتته امرأة فقالت : إني تصدّقت على أُمى بجارية وإنها ماتت ؟

قال : وجب أجرك وردها عليك الميراث .

قالت : يا رسول الله ، إنه كان عليها صوم شهر ، أفأصوم عنها ؟

قال : صومي عنها . قالت : إنها لم تحج قط ، أفأحج عنها ؟

قال : حجّي عنها .

## مشاركة الأطفال في العبادات

التكليف الشرعى مرتبط بالعقل والبلوغ، فلا إلزام ولا مسئولية على من فقد عقله ولا على من هو دون البلوغ.. وقد جاء فى صحيح الحديث أن الرسول ﷺ قال: «رفع القلم عن ثلاثة: عن الصبى حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق».

لكن من الأدب الإسلامى أن يشارك الأطفال فى الصلاة والصيام وسائر العبادات، حتى يشبوا على تقوى الله ورضوانه..

وقد قال ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين».

ولا خلاف بين العلماء فى جواز الحج بالصبيان، وقد جاء فى صحيح الحديث أن امرأة رفعت إلى رسول الله ﷺ صبيا وقالت: يا رسول الله، ألهذا حج؟ قال: نعم، ولك أجر.

وبالنسبة للصيام فإن الأمر موقوف على مدى تحمل الطفل، فإن أطاقه وتحمله ولو مع يسير مشقة فلا بأس به، بل هو من أدب التربية الإسلامية، حتى يستشعر الطفل معانى الولاء لله ورسوله. والالتزام بالعبادات، ويتعود على تحمل المشاق، ويتهيأ لتبعات الحياة فى سرائها وضرائها..

وقد ثبت فى الصحيح أن الصحابة رضوان الله عليهم عندما كانوا يصومون عاشوراء قبل فرضية رمضان كانوا يصومون صبيانهم الصغار ويهيئون لهم بعض اللعب ليشغلهم بها عن تذكر الطعام..

ومن حق الأبناء على آبائهم: حسن تربيتهم، وإعدادهم للحياة الفاضلة بالقدوة والسلوك الحسن، والتوجيه إلى معالم الرشد وقيم الأخلاق..

وواجب الآباء والأمهات أن يهتموا بشعائر الإسلام كلها، ويلتزموا بها التزاماً صادقاً وأميناً، ويدعوا أبناءهم لمشاركتهم هذه المناسبات الطيبة الكريمة.

ولهذا أمرنا رسول الله ﷺ أن نجعل من صلاتنا فى بيوتنا، وقال العلماء: إن الأفضل فى صلاة النافلة أن تؤدى فى البيت، حتى يشب الأبناء على صورة الخير والفضيلة.

كذلك أوصانا المصطفى الكريم أن نقرأ القرآن فى بيوتنا، كى تحفها الملائكة، وتتنزل فيها الرحمة، وينشأ الأطفال فى رياض القرآن العظيم..



## الرسول والفطر فى رمضان

حدثتنا كتب الصحاح عن أبى سعيد الخدرى قال: «سافرنا مع رسول الله ﷺ إلى مكة ونحن صيام، فنزلنا منزلاً، فقال رسول الله ﷺ: إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم، فكانت رخصة، فمننا من صام ومننا من أفطر، ثم نزلنا منزلاً آخر فقال: إنكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم فافطروا، وكانت عزمة فافطروا».

هكذا يكون شرع الله، فدين الله يسر ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وليس المقصود من الصيام العسر على الناس والمشقة، بل هو مدرسة للتهذيب والأخلاق وحرمان مشروع لمعان سامية.

والرسول هو الإنسان الكامل، وهو كما وصفه ربه تبارك وتعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فعندما وجد الناس فى مشقة وهم مقبلون على معركة أفتى لهم بالفطر، بل إنه بدأ بنفسه، فدعا بإناء فيه شراب فشربه نهاراً ليراه الناس.

وعندما أخبر عليه الصلاة والسلام بعد ذلك أن بعض الناس قد صام قال: أولئك العصاة.. أولئك العصاة.. ١١.

لأن القضية ليست تعذيب نفس وإنما هى امتثال أمر، والصيام فضيلة نفس واحدة، والفطر فى هذه المواقع أقوى على المواجهة مع الأعداء فيكون منفعة للنفس وللغير.. وهذا هو ما عبرت عنه الرواية الصحيحة الأخرى عن أنس قال: كنا مع النبى ﷺ فى السفر، فمننا الصائم ومننا المفطر، فنزلنا منزلاً فى يوم حار، أكثرنا ظلاً صاحب الكساء، ومننا من يتقى الشمس بيده، قال: فسقط الصوآم وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب<sup>(١)</sup>، فقال رسول الله ﷺ: ذهب المفطرون بالاجر».

ومن هنا ثبت الحكم العام وهو جواز الفطر فى السفر، وقد نص عليه القرآن المجيد فى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.

(١) الركاب: الإبل.

وهذا الجواز العام هو الأصل، وقد تأدب الصحابة بهذا الأدب، فكانوا يسافرون فلا يعيب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم، فطالما أن الأمر لا يترتب عليه ضياع مصلحة، فمن شاء صام ومن شاء أفطر وعليه القضاء بعد ذلك.

وحيث إن شرع الله منوط بمصلحة الإنسان ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾، فالاعذار المبيحة للمفطر في رمضان أنواع:

منها أَعذار شرعية لا يصح معها صوم ولا ينعقد، وذلك بالنسبة للحائض والنفساء فيحرم عليهما الصيام ويجب عليهما عدة من أيام آخر بعد انقضاء شهر رمضان.. قالت عائشة رضي الله عنها، كما في الصحيح: كان يصيبنا ذلك -أي الحيض- فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة.

وهناك أَعذار متروكة لدين الشخص وخشيته من الله، وهي العجز عن الصيام لمرض أو حمل أو رضاع، فهؤلاء إن خافوا الضرر، وتحققوا من المشقة الشديدة، وأخبرهم بذلك طبيب مسلم عدل ثقة -جاز لهم الفطر وعليهم قضاء أيام آخر بعد شفائهم وانقطاع الأعذار التي أباحت لهم الفطر.

أما كبار السن الذين أرهقتهم الشيخوخة والمرضى بمرض مزمن ملازم لا يرجى شفاؤه فيجوز لهم الفطر ولا قضاء عليهم، وإنما الواجب حينئذ هو إطعام مسكين.. وهذه الفدية قدرها العلماء بنصف قدح من غالب قوت البلد.

وقياساً على ما تقدم فإن من غلبه الجوع والعطش وخشى على نفسه، له حكم المريض في جواز الفطر أو وجوبه تبعاً للحالة التي هو فيها.. كذلك من تقتضيهم ظروف العمل الوقوف أمام الأفران المرتفعة الحرارة، ويعملون أعمالاً لا يمكن أداؤها وهم صائمون، ولا يمكن تأجيلها أو تخفيفها لمصلحة عامة أو خاصة، جاز لهم الفطر وعليهم القضاء من أيام آخر، ولا تسقط عنهم الفريضة، بل هي في ذمتهم حتى يؤدوها في الوقت المناسب قبل حلول رمضان التالي..

وكل إنسان أدري بمصلحته وبما ينفعه في دينه ودنياه.

وكل إنسان لديه حاسة يمكن بها أن يتعرف عذره.

والله لا تخفى عليه خافية.

## صيام الرسول في غير رمضان

الصيام عبادة فيها نبل وسمو إنسانى وتشبه بالملأ الأعلى، وشأن المسلم أن يجعل من أيام دهره أوقاتاً للصيام، اقتداء برسول الله ﷺ .

والظاهرة العامة لصيام الرسول الكريم أنه لم يصم شهراً كاملاً إلا رمضان، ولم يكن يخلى شهراً من صيام، وقد سئلت عائشة رضی الله عنها - كما فى مسلم - : أكان رسول الله ﷺ يصوم شهراً كله؟ قالت : ما علمته صام شهراً كله إلا رمضان، ولا أفطره كله حتى يصوم منه حتى مضى لسبيله ﷺ ..

والظاهرة العامة الأخرى أنه ﷺ كان يكثّر من الصيام على الإطلاق بلا تقيد بزمان معين، حتى قال ابن عباس رضی الله عنهما - كما فى مسلم - : « كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم » فالمسألة إذن راجعة إلى انشراح الصدر للعبادة والإقبال على الطاعة بفرح وسرور وغبطة بلا ملال أو فتور.

ومن عاداته ﷺ أنه إذا أصبح فلم يجد طعاماً مهياً نوى الصيام ذلك اليوم، وأحياناً يصبح صائماً ثم يجد طعاماً شهياً فيأكل منه ويقطع صوم النافلة . وتحدثنا أم المؤمنين عائشة فتقول - كما فى مسلم - : دخل على النبی ﷺ ذات يوم فقال : هل عندكم شيء؟ فقلنا : لا، قال : إني صائم، ثم أتانا يوماً آخر فقلنا : يا رسول الله، أهدى لنا حيس<sup>(١)</sup>، فقال : أرىنيهِ فلقد أصبحت صائماً، فأكل.

ومن هنا أخذ الفقهاء أن صوم النافلة يجوز بنية فى النهار قبل الزوال، وأن المتطوع أمير نفسه، ويجوز فطر الصائم نفلاً من غير عذر، وإن كان الأولى إتمامه.

وإذا أردنا أن نخصص شهوراً بعينها لمزيد الصيام بعد رمضان، فهناك شهر شعبان وشهر الله المحرم . وتقول عائشة كما فى الصحيح : « وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا رمضان، وما رأيته فى شهر أكثر منه صياماً فى شعبان » وما ورد من قولها : « كان يصوم شعبان كله » قد فسرتة رواية أخرى تقول : « كان يصوم شعبان إلا قليلاً » .

وعن شهر المحرم يقول عليه الصلاة والسلام - كما أخرجه مسلم عن أبى هريرة : « أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل » .

(١) وهو ثريد من أخلاط أو تمر مع السمن والأقط .

قال العلماء: وإنما أكثر الرسول الكريم من صيام شعبان دون المحرم، لأنه ربما علم فضل المحرم في آخر حياته الشريفة قبل التمكن من صومه، أو لعله كان يعرض فيه أعداء تمنع من إكثار الصوم كسفر ومرض وغيرهما..

أما شهر رجب فقد قال الإمام النووي: لم يثبت في صومه نهى ولا ندب لعينه، ولكن أصل الصوم مندوب إليه. وفي سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ ندب إلى الصوم من الأشهر الحرم، ورجب أحدها.

هذا وهناك نهى صريح من رسول الله ﷺ عن صوم الدهر، وهو أن تكون حياة الإنسان كلها صوماً، فذلك يؤدي إلى ضرر البدن وضعفه ويفوت معه أداء الحقوق لأصحابها، وسيأتي على الإنسان يوم - إن طال به العمر - يعجز عن مواصلة العبادة.. والله بعباده رءوف رحيم ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

وفي حوار طريف دار بين الرسول ﷺ وعبد الله بن عمرو بن العاص وسجله مسلم في صحيحه، قال: أخبر رسول الله ﷺ أن عبد الله بن عمرو يقول: لأقومن الليل ولا صومن النهار ما عشت، فقال رسول الله ﷺ: أنت الذي تقول ذلك؟

قال عبد الله بن عمرو: قد قلت يا رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ: فإنك لا تستطيع ذلك، فصم وأفطر، ثم قم، وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر..

قال ابن عمرو: فيأني أطيع أفضل من ذلك. قال الرسول الكريم: صم يوماً وأفطر يومين. قال ابن عمرو: فيأني أطيع أفضل من ذلك يا رسول الله، قال عليه الصلاة والسلام: صم يوماً وأفطر يوماً وذلك صيام داود عليه السلام وهو أعدل الصيام، قال عبد الله بن عمرو: فيأني أطيع أفضل من ذلك. قال عليه الصلاة والسلام: لا أفضل من ذلك.

وتدور الأيام ويطول عمر عبد الله ويعجز عن المحافظة على ما التزمه، فيقول: لأن أكون قبلت الثلاثة أيام التي قال رسول الله ﷺ أحب إلي من أهلي ومالي.. وفي رواية: وددت أني كنت قبلت رخصة نبي الله ﷺ.

ونبه المرأة إلى حكم شرعي يتعلق بصوم التطوع، وهو أن من حق الرجل الاستمتاع بزوجه في أي وقت شاء، وفي صحيح البخاري أن الرسول ﷺ قال: «إذا دعا الرجل المرأة إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح»، وذلك لأن الإعفاف إذا لم

يتحقق بين الزوجين كان مدعاة للفساد والانحلال ..

واعترافاً بهذا الحق رفض الإسلام صوم المرأة نفلاً أو واجباً على التراخى إلا بإذن زوجها حتى لا يقطع عليها عبادتها إن تآقت نفسه، ولو صامت المرأة بغير إذن زوجها فله الاستمتاع بها وإفساد صومها من غير كراهة .. قال عليه الصلاة والسلام - كما فى صحيح البخارى- : « لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه » .

ومعنى « شاهد » أى حاضراً، قال العلماء: فلو كان زوجها مريضاً بحيث لا يستطيع الجماع أو مسافراً، جاز لها الصيام ولو بغير إذنه ..

وهذا الحق للزوج لا يتعلق بأداء فريضة الصيام فى شهر رمضان، فإن هذا الوقت بالذات مقصود من الشارع ويتحتم فيه الصيام، فلا تحتاج المرأة إلى إذن زوجها فيه .

## أيام أفردها الرسول بالصيام

هناك أيام خصها الرسول ﷺ بالصيام، وحث الناس عليها، لمزيد فضلها وكرم الله فيها .

من هذه الأيام عاشوراء، وهو اليوم العاشر من المحرم، وصيام هذا اليوم كان معروفاً فى الجاهلية والإسلام، وفى صحيح الحديث أن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت: كانت قريش تصوم عاشوراء فى الجاهلية، وكان الرسول ﷺ يصومه، فلما هاجر إلى المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فرض شهر رمضان قال: من شاء صامه ومن شاء تركه .

وجاء فى روايات خرجها مسلم وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم: ما هذا اليوم الذى تصومونه؟ فقالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكراً فنعن نصومه، فقال الرسول ﷺ: فنحن أحق وأولى بموسى منكم، فصامه وأمر بصيامه .

ومن مجموع الروايات يتبين أن الرسول ﷺ صام عاشوراء قبل البعثة وبعدها إلى أن هاجر إلى المدينة فوجد اليهود صائمين، فأظهر صيامه، وحث المسلمين على صيامه وتعهدهم به، حتى أرسل إلى قرى الأنصار التى حول المدينة من ينادى: من كان أصبح صائماً فليتم صومه ومن كان أصبح مفطراً فليتم بقية يومه . .

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن صيام عاشوراء كان واجباً على المسلمين فى أول الأمر، فلما فرض صيام رمضان أصبح صيامه سنة ومستحباً . .

وتفيد الروايات الصحيحة أن الرسول ﷺ لم يصم إلا اليوم العاشر فقط، ولما تخرج المسلمون من مشابهة أهل الكتاب قال عليه الصلاة والسلام: « فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع » فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ .

ومن هنا قال العلماء: يستحب صيام التاسع والعاشر معاً، لأن النبى ﷺ صام العاشر ونوى صيام التاسع . .

ومن أيام الله التى أفردها الرسول ﷺ بالصيام صيام يوم عرفة، وهو اليوم التاسع من ذى الحجة، وفى فضله جاء الحديث الشريف - كما فى مسلم - : « صيام يوم عرفة

احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله».

وصيام عرفة يستحب على وجه التأكيد لغير الحاج، أما الحاج فالأولى له الفطر، لأنه أرفق به في آداب الوقوف ومهمات المناسك، وتحكى أم الفضل بنت الحارث امرأة العباس أن ناساً تماروا عندها يوم عرفة في صيام رسول الله ﷺ فقال بعضهم: هو صائم، وقال بعضهم: ليس بصائم، فأرسلت إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيه بعرفة فشربه.

كذلك من الأيام المسنونة صيام ستة أيام من شوال لصحيح الحديث: «من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر».

ومعنى «كصيام الدهر» أن الحسنه بعشر أمثالها، فصيام شهر رمضان بعشرة أشهر، وصيام الأيام الستة بشهرين، فذلك صيام السنة، وقد جاء هذا المعنى في حديث مرفوع في كتاب النسائي.

وقد اختلف الفقهاء في هذه الأيام الستة، هل هي خاصة بشوال أو عامة على مدار السنة؟ وهل هي عقب يوم الفطر أو خلال الشهر؟ وهل تصام متفرقة أو متوالية؟ والذي نختاره أنها خاصة بشوال، ولا معنى لأن يراد بها مطلق الصيام على مدار السنة، فذلك منطوق الحديث، فضلاً عن أن هناك نصوصاً أخرى تعين أياماً على مدار العام..

ونرى أن الأفضل فيها التتابع والتوالي، ولو فرقتها جاز ذلك، ولا يشترط أن تقع عقب يوم الفطر، بل لو صامها بعد العيد بأيام كان أولى خروجاً من خلاف من حرم ذلك.

هذا وقد سئل رسول الله ﷺ - كما في مسلم - عن صوم يوم الاثنين، فقال: «ذاك يوم ولد فيه ويوم بعثت أو أنزل عليّ فيه»..

ويستحب أيضاً صيام يوم الخميس لكرامة هذا اليوم عند الله عز وجل فقد أخبر الصادق المصدوق فقال: «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يضطلحا، أنظروا هذين حتى يضطلحا».

وفي رواية صحيحة: «تعرض الأعمال في كل يوم خميس واثنين، فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئاً، إلا امرأة كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: اتركوا هذين حتى يضطلحا».

## أيام يمتنع صومها

جاء في صحيح الحديث أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه جاء يوم العيد فصلى ثم انصرف فخطب الناس فقال: إن هذين يومان نهى رسول الله ﷺ عن صيامهما: يوم فطرهم والآخر يوم تأكلون فيه من نسككم.

فيحرم صيام يوم عيد الفطر لأنه يعقب فريضة الصيام من رمضان، فناسب أن يعقبها فطر ليظهر انقضاؤها.. ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا خرج لصلاة عيد الفطر أكل تمرات قبل أن يخرج ليقطع أثر الصوم.. كذلك يحرم صيام يوم عيد النحر، لأن فيه نسكاً وهو الأضحية، فناسب أن يأكل الناس ويتصدقوا.. ولهذا امتد التحريم من يوم عيد النحر إلى أيام التشريق الثلاثة بعده، وجاء في صحيح مسلم عن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ بعثه وأوس بن الحدثان أيام التشريق فنأى أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمناً، وأيام منى أيام أكل وشرب.

وسميت هذه الأيام أيام التشريق لتشريق الناس لحوم الأضاحي فيها وهو تقديدها ونشرها في الشمس كي يدوم حفظها وصلاحها لفترات أطول..

ومن الأحكام الشرعية المتعلقة بهذا الموضوع أن من نذر أن يصوم يوم الاثنين مثلاً من كل أسبوع فوافق يوم فطر أو أضحي فلا يجوز له صوم يوم العيد.. وقد توجه هذا السؤال إلى ابن عمر رضى الله عنهما، فأجاب قائلاً: أمر الله تعالى بوفاء النذر ونهى رسول الله ﷺ عن صوم هذا اليوم. أى أن ابن عمر توقف عن الجزم بجوابه لتعارض الأدلة عنده، ولكن العلماء أجمعوا على عدم جواز صوم يوم العيد ولو صادف نذراً، وهل يلزمه قضاؤه؟

قال النووي<sup>(١)</sup>: فيه خلاف للعلماء، وفيه للشافعي قولان أصحهما لا يجب قضاؤه، لأن لفظه لم يتناول القضاء، وإنما يجب قضاء الفرائض بأمر جديد على المختار عند الأصوليين، وكذلك لو صادف أيام التشريق لا يجب قضاؤه في الأصح، ويحتمل أن ابن عمر عرض له بأن الاحتياط لك القضاء لتجمع بين أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ.

كذلك يكره أفراد يوم الجمعة بصيام أو أفراد ليلتها بقيام، وقد ورد في ذلك أحاديث

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ٨، ص ١٦.



صحيحة، منها ما جاء في مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخلصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام، إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم».

وسأل محمد بن عباد بن جعفر، جابر بن عبد الله وهو يطوف بالبيت أنهى رسول الله ﷺ عن صيام يوم الجمعة؟ فقال: نعم ورب هذا البيت.

وتزول هذه الكراهة إن وافق يوم الجمعة عادة له، كأن يصوم يوماً ويفطر يوماً فوافق يوم الجمعة أو وصله بيوم قبله أو بعده.. فلا كراهة عليه حينئذ.

والحكمة في النهي عنه أن يوم الجمعة يشبه يوم العيد، فهو يوم دعاء وعبادة واجتماع مع المسلمين، يتميز بخطبة الجمعة وصلاتها وما يسبق ذلك من غسل وتبكير إلى الصلاة واستماع لدعوة الخير.. فالفطر أعون على هذه الخيرات حتى تؤدي بنشاط وانشراح صدر ومسارة من غير ملل ولا سآمة، والمسلم يوم الجمعة يشبه الحاج يوم عرفة، فالسنة في حقه الفطر لأنه مشغول بعبادة خاصة.

فإن قيل: لو كان الأمر كذلك فلم يزول النهي والكراهة بصوم قبله أو بعده؟ والجواب - كما قال النووي<sup>(١)</sup> - أنه يحصل للمسلم بفضيلة الصوم الذي قبله أو بعده ما يجبر ما قد يحصل من فتور أو تقصير في وظائف الجمعة بسبب صومه.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ٨، ص ١٩.

## صوم الكفارات

نظراً لما للصوم من أثر كبير فى التربية والسلوك، وما يحققه للنفس من قيم وآداب، فإن الله جل جلاله قد جعل للصوم مدخلا فى كفارات الذنوب وبعض المخالفات المتعلقة بالعبادات.

ففى الحج عندما لا يستطيع المحرم الالتزام ببعض محظورات الإحرام فإن عليه فدية هى ذبح شاة أو إطعام ستة مساكين أو صيام ثلاثة أيام .. قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وهذا التقسيم فى الصيام إنما هو لغير المقيمين فى مكة، أما أهل الحرم فإنهم يصومون الأيام العشرة مطلقاً، سواء كانت متتابعة أو متفرقة.

وقد منع الله تعالى المحرم من صيد البر، ورتب على المخالفة جزاء أشارت إليه الآية الكريمة فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَنْمَا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥].

فالمحرم الذى قتل صيداً مأكولاً مخير بين أن يذبح ما يماثله من الانعام، أو يقوم هذا المثل ويتصدق به، أو يقوم الصيد نفسه إن لم يكن له مثل، أو يصوم عن كل مد يوماً، وقيل عن كل نصف صاع يوماً<sup>(١)</sup>.

وفى كفارة اليمين شرع الله تعالى الصوم ثلاثة أيام عند العجز عن عتق رقبة أو إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم، قال الله تعالى: ﴿لَا يُؤْخَذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَوْ هَلِيكُمُ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا

(١) الصاع أربعة أمداد وهو بالكيل المصرى قدحان.

أَيَّمَانَكُمْ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ [المائدة: ٨٩].

فكفارة اليمين مخيرة في الابتداء، مرتبة في الانتهاء، بمعنى أنه لا ينتقل إلى الصوم إلا عند العجز عن الثلاثة السابقة..

وقد أجمع الفقهاء على أن من أفطر في نهار رمضان بالجماع وجب عليه عتق رقبة، فإن لم يجد صام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع أطعم ستين مسكيناً، لثبوت الحديث الصحيح في ذلك<sup>(١)</sup>، واختلفوا في وجوب هذه الكفارة بالإفطار بالاكل والشرب عمداً.

قال ابن رشد: «فإن مالكا وأصحابه وأبا حنيفة وأصحابه والثوري وجماعة ذهبوا إلى أن من أفطر متعمداً بأكّل أو شرب أن عليه القضاء والكفارة المذكورة في هذا الحديث. وذهب الشافعي وأحمد وأهل الظاهر إلى أن الكفارة إنما تلزم في الإفطار من الجماع فقط.

والسبب في اختلافهم في جواز قياس الفطر بالاكل والشرب على الفطر بالجماع، فمن رأى أن شبههما فيه واحد، وهو انتهاك حرمة الصوم جعل حكمهما واحداً، ومن رأى أنه وإن كانت الكفارة عقاباً لانتهاك الحرمة فإنها أشد مناسبة للجماع منها لغیره، وذلك أن العقاب المقصود به الردع، والعقاب الأكبر قد يوضع لما إليه النفس أميل، وهو لها أغلب من الجنایات، وإن كانت الجنایة متقاربة، إذ كان المقصود من ذلك التزام الناس الشرائع، وأن يكونوا أخياراً عدولاً، كما قال تعالى: ﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾.

قال: هذه الكفارة المغلظة خاصة بالجماع..

وهذا إذا كان ممن يرى القياس.

وأما من لا يرى القياس فأمره بين، أنه ليس يعدى حكم الجماع إلى الاكل والشرب.

وأما ما روى مالك في الموطأ أن رجلاً أفطر في رمضان، فأمره النبي ﷺ بالكفارة المذكورة، فليس بحجة، لأن قول الراوى «فأفطر، هو مجمل، والمجمل ليس له عموم فيؤخذ به...»<sup>(٢)</sup>.

(١) سبق الكلام عنه في المعاشرة الزوجية.

(٢) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج ١، ص ٣٧١، طبعة دار الكتب الحديثة.

وقد ذكر القرآن المجيد هذه الكفارة المغلظة في حكم الظهار الذي تضمنته سورة المجادلة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تَوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ [المجادلة: ٣-٤] .

وفى كفارة القتل ذكر الله تعالى صيام شهرين متتابعين عند العجز عن عتق رقبة .. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿ [النساء: ٩٢] .

وقد ذهب الشافعي رحمه الله تعالى إلى أن هذه الكفارة تجب في القتل مطلقاً، سواء كان عمداً أو خطأ، لما روى عن وائلة بن الأسقع قال: أتينا رسول الله ﷺ في صاحب لنا أوجب النار بالقتل، فقال: «اعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار». رواه أبو داود وصححه الحاكم.

وقال الشافعي بالقياس أيضاً من حيث إن الغرض من إعتاق العبد هو أن يعتقه الله من النار، والحاجة إلى هذا المعنى في القتل العمد أتم، فكانت الحاجة فيه إلى إيجاب الكفارة أتم ..



### البحث الثالث

## الرسول والعبادة في رمضان

- قيام رمضان.
- دعاء قيام الليل.
- السواك.
- الاعتكاف.
- زكاة الفطر.
- التكافل الاجتماعي.
- الجهاد في رمضان.

## الرسول وقيام رمضان

أخرج مسلم في صحيحه عن عروة بن الزبير أن عائشة رضى الله عنها أخبرته أن رسول الله ﷺ خرج من جوف الليل فصلى في المسجد، فصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس يتحدثون بذلك، فاجتمع أكثر منهم، فخرج رسول الله ﷺ في الليلة الثانية فصلوا بصلاته، فأصبح الناس يذكرون ذلك، فكثرت أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج فصلوا بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله، فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ، فطفق رجال منهم يقولون الصلاة، فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ حتى خرج لصلاة الفجر، فلما قضى الفجر أقبل على الناس ثم تشهد فقال: أما بعد، فإنه لم يخف على شأنكم الليلة، ولكني خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها..

من الأمور التي كثر خلاف الناس فيها صلاة التراويح في شهر رمضان، والذي نريد أن يفقهه الناس أن من صلاة النوافل في الإسلام التهجد وهو قيام الليل بعد نوم وأداء بعض الركعات وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨]، وبقوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦].

وهذه الصلاة لها أكثر من كيفية وردت بها روايات صحيحة، منها أنها مثنى مثنى، وتختتم بواحدة تسمى وترا..

ففي صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن صلاة الليل، فقال: «صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خشى أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى».

ومنها أن تؤدي مجموعة ركعات متواليات لا يجلس في شيء منها إلا في آخرها وهي الثامنة ولا يسلم، ثم ينهض ويصلى التاسعة ثم يتشهد ويسلم، ثم يصلى ركعتين جالساً..

ففي صحيح مسلم أن عائشة رضى الله عنها سئلت عن وتر رسول الله ﷺ، فقالت: كنا نعد له سواكه وظهره فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضأ ويصلى تسع ركعات لا يجلس فيها إلا في الثامنة فيذكر الله ويحمده ويدعوه ثم ينهض ولا

يسلم ثم يقوم فيصلّى التاسعة ثم يقعد فيذكر الله ويحمده ويدعوه ثم يسلم تسليماً يسمعوناً ثم يصلّى ركعتين بعد ما يسلم وهو قاعد فتلك إحدى عشرة ركعة، يا بنى، فلما أسن نبى الله ﷺ وأخذ اللحم أوتر بسبع، وصنع فى الركعتين مثل صنيعة الأول فتلك تسع.

ثم تخبر السيدة عائشة أن الرسول إذا شغله شىء عن قيام الليل صلى نهاراً اثنتى عشرة ركعة، فتقول فى نفس الحديث السابق: يا بنى، وكان نبى الله ﷺ إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها، وكان إذا غلبه نوم أو وجع عن قيام الليل صلى من النهار اثنتى عشرة ركعة.

وجاءت روايات أخرى تفيد أن صلاة الليل أربع ركعات ثم أربع أخرى ثم ثلاث.. واختلفت الروايات فى العدد الذى كان يؤديه الرسول الكريم فى رمضان وفى غيره ما بين إحدى عشرة ركعة وثلاث عشرة ركعة وخمس عشرة ركعة.. ومن هذه الروايات ما جاء فى الصحيح أن أبا سلمة بن عبد الرحمن سأل عائشة رضى الله عنها: كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ فى رمضان؟

قالت: ما كان رسول الله ﷺ يزيد فى رمضان ولا فى غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلّى أربعاً، فلا تسأل عن حسنهنّ وطولهنّ، ثم يصلّى أربعاً فلا تسأل عن حسنهنّ وطولهنّ، ثم يصلّى ثلاثاً.

وقد وجه العلماء اختلاف الروايات بحسب ما كان يحصل من اتساع الوقت أو ضيقه، وطول القراءة وقصرها، أو بحسب الأحوال من عذر مرض أو غيره، أو بحسب الاوقات من كهولة وكبر سن وشيخوخة، إلى غير ذلك..

وحكى الإمام النووي عن بعض الأئمة:

«ولا خلاف أنه ليس فى ذلك حد لا يزداد عليه ولا ينقص عنه، وأن صلاة الليل من الطاعات التى اكلمنا زاد فيها زاد الأجر، وإنما الخلاف فى فعل النبى ﷺ وما اختاره لنفسه»<sup>(١)</sup>.

هذا وصلاة التراويح هى صلاة الليل على التحقيق، وليست صلاة خاصة برمضان، وإنما شأنها شأن سائر الطاعات، تتأكد به وفيه.. وبدليل قول الرسول الكريم: «ولكنى خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا».

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - ج ٦، ص ١٩.

والمراد بقوله ﷺ في صحيح الحديث: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» هو قيام الليل مطلقاً بصلاة وذكر ودعاء.

ويستفاد من مجموع الأحاديث أن صلاة المرء ينبغي أن تكون متساوية في جميع السنة اقتداء برسول الله ﷺ ..

والأصل في النوافل أن تؤدي على انفراد وفي البيت، ولكن لما اجتمع المسلمون خلف الرسول الكريم، ولم يكن قد أمرهم فيها بعزيمة، خشى أن تفرض عليهم الجماعة في صلاة الليل، فترك الخروج من حجرته إلى المسجد ..

وتوفي رسول الله ﷺ الأمر على ذلك من غير اجتماع الناس في صلاة الليل بالمسجد، إلى أن جاء عمر واستحسن جمع المسلمين في المسجد على إمام واحد.

ففي صحيح البخاري عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن ابن عبد القاري أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون، يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط.

فقال عمر: إنني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم .. قال عمر: نعم البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون -يريد آخر الليل- وكان الناس يقومون أوله».

وقد علق في الفتح على عبارة عمر هذه فقال: البدعة أصلها ما أحدث على غير مثال سابق، وتطلق في الشرع في مقابل السنة فتكون مذمومة، والتحقيق أنها إن كانت مما تدرج تحت مستحسن في الشرع فهي حسنة، وإن كانت مما تدرج تحت مستقبح في الشرع فهي مستقبحة، وإلا فهي من قسم المباح، وقد تنقسم إلى الأحكام الخمسة ..

قوله: «والتي ينامون عنها أفضل» هذا تصريح منه بأن الصلاة في آخر الليل أفضل من أوله، لكن ليس فيه أن الصلاة في قيام الليل فرادى أفضل من التجميع<sup>(١)</sup>.

وقد ساق الإمام ابن حجر تكميلاً في فتحه عن عدد الركعات التي جمع عمر الناس عليها، ونقل روايات عن قيام رمضان منها:

روى سعيد بن منصور أنها إحدى عشرة ركعة، وكانوا يقرأون بالمائتين، ويقومون

(١) فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، ج ٤، ص ٢٥٣.



على العصى من طول القيام.

وروى محمد بن نصر عن عطاء قال: أدركتهم في رمضان يصلون عشرين ركعة وثلاثة ركعات الوتر.

وروى محمد بن نصر من طريق داود بن قيس قال: أدركت الناس في إمارة أبان بن عثمان وعمر بن عبد العزيز -يعنى بالمدينة- يقومون بست وثلاثين ركعة، ويوترون بثلاث.

وعن الزعفراني عن الشافعي: رأيت الناس يقومون بالمدينة بتسع وثلاثين وبمكة بثلاث وعشرين، وليس في شيء من ذلك ضيق. وقال: إن أطلبا القيام وأقلوا السجود فحسن، وإن أكثروا السجود وأخفوا القراءة فحسن، والأولى أحب إلي.

وقال الترمذي: أكثر ما قيل فيه أنها تصلى إحدى وأربعين ركعة، يعنى بالوتر.

وقال السائب بن يزيد: كنا نصلى زمن عمر في رمضان ثلاث عشرة، قال ابن إسحق: وهذا أثبت ما سمعت في ذلك<sup>(١)</sup>.

بعد هذا نقول: إن كل مسلم يؤدي من قيام الليل ما تنشط له همته، ويتأمل قراءته، ويستجمع له فكره نحو جلال الله وكماله، وينتهي به لتلقى نفحات الله عز وجل التي أشار إليها الرسول الكريم في حديثه الصحيح:

«ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول، فيقول: أنا الملك.. أنا الملك.. من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيته؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر».

(١) فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، ج٤، ص٢٥٤ بتصرف.

## دعاء قيام الليل

كان رسول الله ﷺ إذا قام من ليله مسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٥) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩٦) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٧) رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٨) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٩) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَأَلْزَمْنَا هَاجِرُوا وَآخَرُجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتِلُوا وَقَتَلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (٢٠٠) لَا يَغْرُنَّكَ ثَقَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (٢٠١) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ وَيَنْسُ الْمِهَادُ (٢٠٢) لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (٢٠٣) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْعُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

وكان ﷺ إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل قال:

«اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض.

ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض.

ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن.

أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك الحق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق.

اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاکمت.

فاغفر لي ما قدمت وأخرت وأسررت وأعلنت .  
 أنت إلهي، لا إله إلا أنت .  
 وكان ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته قائلا :  
 « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل .  
 فاطر السموات والأرض .  
 عالم الغيب والشهادة .  
 أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون .  
 اهدني لما اختلفوا فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » .  
 وأحيانا يقول :  
 « وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيئا وما أنا من المشركين، إن صلاتي  
 ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين .  
 اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت .  
 أنت ربي وأنا عبدك .  
 ظلمت نفسي واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعاً، إنه لا يغفر الذنوب إلا  
 أنت .  
 واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا  
 يصرف عني سيئها إلا أنت .  
 لبيك وسعديك والخير كله في يديك، والشر ليس إليك .  
 أنا بك وإليك تباركت وتعاليت .  
 أستغفرك وأتوب إليك » .  
 وإذا ركع رسول الله ﷺ قال :  
 « اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت .  
 خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي » .  
 وإذا رفع رسول الله ﷺ قال :

« اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شئء بعده » .

وإذا سجد رسول الله ﷺ قال :

« اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت .

سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره .

تبارك الله أحسن الخالقين » .

ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم :

« اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني .

أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت » .

وكان ﷺ إذا أذن المؤذن وخرج إلى صلاة الفجر قال :

« اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي لساني نوراً .

واجعل في سمعي نوراً، واجعل في بصرى نوراً .

واجعل من خلفى نوراً، ومن أمامى نوراً .

واجعل من فوقى نوراً، ومن تحتى نوراً .

اللهم أعطني نوراً» (١) .

( ١ ) راجع هذه التصور في صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٦، ص ٤٧ - ٦٠ .

## الرسول والسواك

فى صحيح الحديث عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان النبى ﷺ إذا دخل بيته بدأ بالسواك » ، وذلك لما قد يعلق بالفم من آثار الطريق .

وعن حذيفة رضى الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل ليتجهجد يشوص فاه بالسواك » أى يذلك أسنانه بالسواك لإزالة لآثار النوم .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إنه بات عند النبى ﷺ ذات ليلة ، فقام نبى الله ﷺ من آخر الليل فخرج فنظر فى السماء ، ثم تلا هذه الآية فى آل عمران ﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ﴾ حتى بلغ ﴿ فقنا عذاب النار ﴾ ثم رجع إلى البيت فتسوك وتوضأ ، ثم قام فصلى ثم اضطجع ثم قام فخرج فنظر إلى السماء فتلا هذه الآية ثم رجع فتسوك فتوضأ ثم قام فصلى .

والمعنى أنه يستحب قراءة هذه الآيات عند الاستيقاظ من الليل ، مع النظر إلى السماء ، لما فى ذلك من عظم التدبر ، مع استعمال السواك والوضوء وأداء صلاة التهجد ، مناجاة لله رب العالمين ..

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » .

وفى هذا الحديث بيان ما كان عليه النبى ﷺ من الرفق بأمته ، وفيه دليل استحباب السواك عند الدخول فى الصلاة ..

ومن كل ما تقدم نرى أدباً من آداب الإسلام ، وهدياً من هدى رسول الله ﷺ ، وهو استعمال السواك آناء الليل وأطراف النهار ، فهو سنة مستحبة فى جميع الأوقات ، ولكنه فى خمسة أوقات أشد استحباباً :

١ - عند تغير رائحة الفم لآى سبب من الأسباب ، كطول سكوت ، أو إمساك عن الطعام ، أو تناول شئ له رائحة كريهة ، لأن الإسلام حريص على نظافة المسلم وحسن لقائه بإخوانه . وقد قال عليه الصلاة والسلام : من أكل ثمواً أو بصلاً فليعتزلنا أو ليعتزل مسجدنا ..

- ٢ - عند الاستيقاظ من النوم، لما يعترى الفم حينئذ من تغير..
  - ٣ - عند الوضوء كنوع من تمام الطهارة والنظافة التي يحرص المسلم على الاتصاف بها.. فالطهور شطر الإيمان.
  - ٤ - عند الصلاة، إذ يستحب تمام الزينة وحسن الهيئة حين يقف المسلم أمام خالقه ومالك الملك والملكوت.
  - ٥ - عند قراءة القرآن، حتى يطهر الفم الذي هو محل مناجاة الله بكلامه المنزل..
- وذهب الإمام الشافعى إلى أن السواك يكره للصائم بعد زوال الشمس لئلا يزيل رائحة التغير التي تحصل عند خلو المعدة فى ذلك الوقت، لخبر الصحيحين: «لخلف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك».
- والخلف: تغير فم الصائم، وإنما يكون هذا التغير بعد الزوال، لحديث: «أعطيت أمتى فى رمضان خمساً». ثم قال: «والثانية: فإنهم يمسون وخلف أفواههم أطيب عند الله من ريح المسك». والمساء بعد الزوال. وأطيبية الخلف تدل على طلب إبقائه إلى وقت الغروب..
- وذهب فريق من العلماء إلى نفي هذه الكراهة وبقاء الحكم العام وهو الاستحباب فى كل وقت، لأن خلفه فم الصائم تنشأ من خلو المعدة، وهى باقية ببقاء الصوم ولا علاقة للسواك بها..
- هذا وتحصل السنة بكل مزيل للصفرة من الأسنان، سواء كان عوداً من شجر الأراك أو غيره، أو الفرشاة المعروفة حالياً، فالمقصود هو نظافة الأسنان..
- قال العلماء: والمستحب أن يستاك عرضاً ولا يستاك طولاً، لئلا يدمى لحم أسنانه، ويستحب أن يمر السواك على طرف أسنانه وكراسى أضراسه وسقف حلقه إمراراً لطيفاً، ويستحب أن يبدأ فى سواكه بالجانب الأيمن.
- وهذا كله إرشاد نبوى كريم، حتى يظل المسلم طيب الرائحة، كريم النفس، سليم البدن.

## الاعتكاف

فى اللغة:

عكفه: حبسه ووقفه.

والاعتكاف: الاحتباس.

وعكف على الشيء: أقبل عليه مواظباً.

وفى الشرع:

المكث فى المسجد بنية، وهو عبادة قديمة أشار إليها القرآن المجيد فى قوله تعالى: ﴿وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

حكمه:

سنة مؤكدة تستحب فى كل وقت، وقد يجب بالنذر..

وفى صحيح الحديث عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل، ثم اعتكف أزواجه من بعده.

وفى صحيح البخارى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: يا رسول الله، إني نذرت فى الجاهلية أن اعتكف ليلة فى المسجد الحرام، فقال له النبى ﷺ: «أوف نذرك، فاعتكف ليلة».

وثبت أن النبى ﷺ اعتكف العشر الأول من شوال.

مكانه وكيفيته:

جمهور العلماء على أن الاعتكاف لا يكون إلا فى مسجد، وجاءت آراء للعلماء تخصص المسجد، فقال الشافعى ومالك يصح الاعتكاف فى كل مسجد، وقال أحمد: يختص بمسجد تقام الجماعة الراتبة فيه، وقال أبو حنيفة: يختص بمسجد تصلى فيه الصلوات كلها، وقال الزهرى وآخرون: يختص بالجامع الذى تقام فيه الجمعة. ونقلوا عن حذيفة بن اليمان الصحابى اختصاصه بالمساجد الثلاثة: المسجد الحرام ومسجد المدينة

والأقصى ..

وهذا الحكم عام للرجل والمرأة، إلا أن أبا حنيفة صحح اعتكاف المرأة في مسجد بيتها ..

وقد حدثت عائشة رضي الله عنها - كما في صحيح مسلم - قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يعتكف صلى الفجر ثم دخل معتكفه، وإنه أمر بخبائه فضرب، أراد الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان . فأمرت زينب بخبائها فضرب، وأمر غيرها من أزواج النبي ﷺ بخبائه فضرب، فلما صلى رسول الله ﷺ الفجر نظر فإذا الأخبية فقال : ألبر تردن ؟!

فأمر بخبائه فقوض وترك الاعتكاف في شهر رمضان حتى اعتكف في العشر الأول من شوال .

وفي فهم هذه الواقعة ساق الإمام النووي هذا النص :

« قال القاضي : قال رسول الله ﷺ هذا الكلام إنكاراً لفعلهن، وقد كان ﷺ أذن لبعضهن في ذلك كما رواه البخاري، قال : وسبب إنكاره :

أنه خاف أن يكن غير مخلصات في الاعتكاف، بل أردن القرب منه لغيرتهن عليه أو لغيرته عليهن، فكره ملازمتهم المسجد، مع أنه يجتمع الناس ويحضره الأعراب والمنافقون وهن محتاجات إلى الخروج والدخول لما يعرض لهن فيبتذلن بذلك .

أو لانه ﷺ رآهن عنده في المسجد وهو في المسجد، فصار كأنه في منزله بحضوره مع أزواجه، وذهب المهم من مقصود الاعتكاف، وهو التخلي عن الأزواج ومتعلقات الدنيا وشبه ذلك .

أو لأنهن ضيقن المسجد بأبنيتهن ..

وفي هذا الحديث دليل لصحة اعتكاف النساء، لأنه ﷺ كان أذن لهن، وإنما منعهن بعد ذلك لعارض، وفيه أن للرجل منع زوجته من الاعتكاف بغير إذنه، وبه قال العلماء كافة، فلو أذن لها فهل له منعها بعد ذلك، فيه خلاف للعلماء .... »<sup>(١)</sup> .

وقته ومدته :

يرى أكثر الفقهاء أن الاعتكاف يصدق بأقل زمن يسمى مكثاً في المسجد، وخدده

( ١ ) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٨ ، ص ٦٩ .



بعض الفقهاء بيوم وليلة ..

ومن نذر أياماً دخل معتكفه قبل طلوع الفجر وخرج بعد غروب الشمس، ومن نذر ليالى دخل قبل الغروب وخرج بعد طلوع الفجر.

صوم المعتكف :

من السنة أن يصوم المعتكف، بل ذهب مالك وأبو حنيفة وجماعة إلى أنه لا اعتكاف إلا بصوم، وقال الشافعى يجوز الاعتكاف بغير صوم.

مبطلاته :

يبطل الاعتكاف وينتهى بالخروج من المسجد، ويستثنى من ذلك الخروج لحاجة الإنسان من بول وغائط واغتسال واجب، أو عذر من حيض ونفاس، أو عذر من مرض لا يمكن المقام معه، فلو خرج لهذه الأعذار لا يبطل الاعتكاف، ويمكنه استغناؤه والبناء على ما مضى منه إذا كان مرتبطاً بمدة معينة ..

وببطل الاعتكاف بالوطء، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. وليس المراد الوطء داخل المسجد فإنه حرام مطلقاً، وإنما المراد أن المعتكف قد يخرج لحاجة لا يبطل معها الاعتكاف ثم يعاشر زوجته خارج المسجد، فيبطل الاعتكاف حينئذ.

عمل المعتكف :

قال الإمام ابن رشد: «فأما العمل الذى يخصه ففيه قولان؛ قيل إنه الصلاة وذكر الله وقراءة القرآن لا غير ذلك من أعمال البر والقرب، وهو مذهب ابن القاسم، وقيل: جميع أعمال القرب والبر المختصة بالآخرة وهو مذهب ابن وهب فعلى هذا المذهب يشهد الجنائز ويعود المرضى ويدرس العلم، وعلى المذهب الأول لا .. وهذا هو مذهب الثورى، والأول هو مذهب الشافعى وأبى حنيفة ..»<sup>(١)</sup>.

(١) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج ١، ص ٣٨٢.

## زكاة الفطر

في الحديث المتفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ فرض زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير، على كل حر أو عبد، ذكر أو أنثى، من المسلمين».

وسميت زكاة الفطر بهذا الاسم لأن وجوبها يتحقق بالفطر من آخر يوم من رمضان، وتسمى زكاة الفطر، التي هي الخلقة المرادة بقوله تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، والمعنى أنها وجبت على الخلقة تزكية للنفس وتطهيراً لها وتنمية لعملها، وتسمى أيضاً زكاة الأبدان لأنها تجب على الأشخاص بأعيانهم في مقابلة زكاة الأموال التي تتعلق بالمال الذي يبلغ نصاباً.

وجمهور العلماء على فرضية زكاة الفطر، وحكى الإمام ابن رشد أقوالاً أخرى هي: ذهب بعض المتأخرين من أصحاب مالك إلى أنها سنة، وبه قال أهل العراق، وقال قوم: هي منسوخة بالزكاة.

وسبب اختلافهم تعارض الآثار في ذلك، وذلك بأنه ثبت من حديث عبد الله بن عمر أنه قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر...».

وظاهر هذا يقتضي الوجوب على مذهب من يقلد صاحب في فهم الوجوب أو الندب من أمره عليه الصلاة والسلام إذا لم يحدد لنا لفظه.

وثبت أن رسول الله ﷺ قال في حديث الأعرابي المشهور، وذكر رسول الله الزكاة قال: هل على غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع.

فذهب الجمهور إلى أن هذه الزكاة داخلة تحت الزكاة المفروضة وذهب الغير إلى أنها غير داخلة، واحتجوا في ذلك بما روى عن قيس ابن سعد بن عباد أنه قال: «كان رسول الله ﷺ يأمرنا بها قبل نزول الزكاة، فلما نزلت آية الزكاة لم نؤمر بها ولم ننه عنها ونحن نفعله» (١).

وهذه الزكاة لها حكمتان بالفتان:

(١) بداية المجتهد، ج ١، ص ٣٤٧.

الأولى: شأن المسلم أن يشكر نعمة الله عليه، ويعيش مع الناس، يحس بإحساسهم ويتجاوب مع مشاعرهم، والزكاة لون من شكر النعمة والمساهمة في إشاعة البسمة والسرور على قلوب المحرومين والبؤساء..

ومناسبة شهر رمضان وعيد الفطر أدعى لأن يتعاون المسلمون ويتكافلوا ويظهروا جميعاً بمظهر المؤاخاة الدينية العامة..

الثانية: زكاة الفطر لشهر رمضان، كسجدة السهو للصلاة، تجبر نقصان الصوم، كما يجبر السجود نقصان الصلاة، والعبادات التي يطول أداؤها يشق التحرز فيها من أمور تفوت كمالها.. فرمما غفل الإنسان عن حكمة الصوم أو زل لسانه بكلمة أو انتابه ضعف إرادى تجاه موقف لا يتناسب وكمال الصوم.. فكانت زكاة الفطر كفارة لمثل هذه الحالات.

وقد أشار الرسول ﷺ إلى هاتين الحكمتين فقال – كما رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الحاكم: « زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين ».

وهذه الزكاة تجب بغروب الشمس من آخر يوم من رمضان، فكل من أدرك جزءاً من رمضان وجزءاً من شوال تجب عنه الزكاة، فنخرجها عمن ولد قبل الغروب من آخر يوم رمضان، وكذلك عمن مات بعد الغروب.. لكن من ولد بعد الغروب فى آخر أيام رمضان فلا زكاة عنه لأنه لم يدرك جزءاً من رمضان، لأن الشهر قد انتهى بغروب الشمس.

ويزكى الإنسان عن نفسه وعمن يلزمه نفقته من المسلمين كزوجته وأولاده الذين فى كفالتة، والخادم الذى يعمل بأجر وشرط نفقته على المستأجر، وكذلك يزكى الإنسان عن أبويه إن كانوا فى كفالتة ولا مال لهم.

ولا يشترط فى هذه الزكاة نصاب معين، بل تجب على من يجد زيادة عن قوته وقوت من تلزمه نفقته يوم العيد وليلته. وقال الإمام أبو حنيفة: لا تجب على من يحل له أخذ الزكاة، وذهب عطاء والزهرى والليث إلى أنها لا تجب على أهل البوادر والشعاب لعدم استقرارهم وإنما هى خاصة بأهل الأمصار والقرى.

ومقدار هذه الفريضة – على ما نختاره – قدحان<sup>(١)</sup> من قمح أو شعير أو أرز أو غير

(١) القدحان يساويان ثلاثة كيلو جرام.

ذلك مما يقتات ويعيش عليه الناس . ولم يجز عامة الفقهاء إخراج القيمة، وأجازه أبو حنيفة .

وقد أوصى رسول الله ﷺ بإخراج هذه الزكاة قبل صلاة العيد حتى يتهيا الناس جميعاً لاستقبال العيد في فرح وغبطة وسرور، ففي صحيح مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أمر بإخراج زكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة .

وفي حديث صححه الحاكم: «فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات» .

وعلى هذا يحرم تأخيرها عن يوم العيد بلا عذر، كغيبة ماله أو المستحقين، أما تقديمها عن يوم العيد، فقال بعضهم: يجوز من أول رمضان، وقيل: لا تقدم على وقت وجوبها إلا ما يغتفر كالיום واليومين وهذا أولى لأنه ادعى لاستراحة الناس أيام العيد وهدوء أحوالهم واستقرار أمورهم المالية في هذه الأيام المباركة السعيدة .

## التكافل الاجتماعي

كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان، وهذا ما يدفعنا إلى الحديث عن تكافل المسلمين، فالاجتماع في حاجة إلى التعاون والبر، والإنسان لا يعيش وحده وإنما هو في ضرورة ماسة إلى إخوانه وبنى جنسه.

وخير ما يربط صلات الناس، ويعمق التعاون بينهم هو الإيمان الصادق..

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال رسول الله ﷺ كما في الصحيح: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

ويوم يتأصل الإيمان في النفس يفعل الإنسان الواجب لذاته، ويسعى في الخير بلا نفاق، ويخدم الآخرين بلا من ولا أذى.. وإلى هذا المعنى الرفيع يشير قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩].

ولدينا نموذج فريد في العلاقات الاجتماعية، يوم قدم المهاجرون إلى المدينة وقد تركوا ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، فاستقبلهم الأنصار وقاسموهم أموالهم وديارهم محبة لله وفي الله، وتمت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار بلا وشيجة رحم أو قرى، وبلا قانون أو قوة، وإنما كان مجرد الإعلان عنها كفيلاً بتطبيقها.. ونزل قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنُ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

ولدينا نموذج آخر وهم الأشعريون من اليمن، امتدحهم رسول الله ﷺ بخصلة حميدة، هي التكافل الاجتماعي والمساندة المالية والمشاركة الوجدانية التامة، فقال: «إن الأشعريين إذا أرموا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم».

ونحن نتلفت حولنا فنجد إخوة لنا في البلاد العربية والإسلامية، جرفهم الطوفان واجتاحتهم الأعاصير وزلزلت الأرض تحتهم أو دهمتهم قوي الشر والطغيان، فوقعوا في بلاء وشدة وكرب، وأضحوا في أمس الحاجة إلى المساعدة..

والواجب يحتم علينا أن نشارك في هذه النوائب، ونتقدم بالعون للمحتاجين، ونعطى عطاء من لا يخشى الفقر لهؤلاء البؤساء..

وقد قال رسول الله ﷺ - كما رواه مسلم - : « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له » ... قال الراوى أبو سعيد الخدرى : فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل .  
فالمال مال الله، استخلفنا فيه، وليس للإنسان من ماله إلا ما تصدَّق به، أما ما عدا ذلك فما كل تفنى وملابس تبلى ومظاهر خادعة .

وفى تشبيهه رائع تحكى السيدة عائشة - كما رواه الترمذى - : أنهم ذبحوا شاة، فقال النبى ﷺ : ما بقى منها، قالت : ما بقى منها إلا كتفها، قال عليه الصلاة والسلام : بقى كلها غير كتفها .

فلننظر إلى هذا المعنى الرائع الجميل الشائق .. فالذى أنفق من الشاة هو الباقي وإن عادت منفعته إلى الغير، والذى ترك من الشاة هو الفانى وإن عادت منفعته إلى الشخص ..

وفى شحذ للهمة لطيف يسائل النبى ﷺ أصحابه قائلاً - كما فى صحيح البخارى - : « أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟ قالوا : يا رسول الله، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال عليه الصلاة والسلام : فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر » .

فلنسارع إلى الصدقة والبر والصلة، وقد منحنا الله المال وتفضل علينا بالثواب .. قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ [الحديد : ١٨] .

وقال سبحانه : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يَضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦١] .

إن أبواب الخير كثيرة مفتحة، وفضل الله وثوابه أكبر وأكثر .. وقد قال رسول الله ﷺ - كما رواه مسلم - : « من نفَّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » .

فما أقل العمل، وما أعظم الثواب .

وشتان ما بين كربة الدنيا وكربة الآخرة .

إن الكريم يحبه أهل الأرض والسماء، وإن البخيل يمقته أهل الأرض والسماء، وما من يوم إلا وينادى ملكان - كما أخبرنا المصطفى الصادق المصدق :

يقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً .

ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً.

إن ربنا تبارك وتقدس يتحجب إلينا بالنعم، ويدعونا إلى فردوسه الأعلى، ويرغبنا في جنة عرضها السموات والأرض.. ويجعل ذلك مرهوناً بعمل الخير وخير العمل للناس في مواساتهم وقضاء حوائجهم..

وفي صحيح الحديث أن الله عز وجل يقول يوم القيامة:

«يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ١١٩»

يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ١٢

يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال: يارب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي ١١٩».

فلنحرص على أبواب الخير، ولتجد نفوسنا، ولنبدل بسخاء المؤمنين وكرم أهل التقوى.. قال الله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ٩٢﴾ [آل عمران: ٩٢].

إن المال نعمة يوم يسخر لخدمة المجتمع، ويوم يراعى فيه حق الضعفاء والمحتاجين وذوى القربى والأرحام، وإلا انقلب إلى نقمة، وأصبح وبالاً على صاحبه في الدنيا والآخرة..

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تُفْسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ٣٥﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

وفي الصحيحين: أن أبا ذر رضى الله عنه قال: انتهيت إلى النبي ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة، فلما رآني قال: هم الأخسرون ورب الكعبة. فجئت حتى جلست فلم أقف أن قممت فقلت: يا رسول الله، فذاك أبى وأمى، من هم؟ قال: هم الأكثرون أموالاً، إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، وقليل ما هم.

## الجهاد في رمضان

أذن الله تعالى لنبيه محمد ﷺ بالقتال بعد الهجرة، رداً للعدوان، وتأميناً للعقيدة، ودعوة إلى الخير.. قال الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صَوَامِعُ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠].

وكانت غزوات رسول الله ﷺ التي باشرها بنفسه سبعاً وعشرين غزوة، قاتل في تسع منها هي: بدر، وأحُد، والخندق، وقريظة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف..

وقد وقعت غزوتان في رمضان، غزوة بدر في السابع عشر من شهر رمضان للعام الثاني الهجري، وفتح مكة في العاشر من شهر رمضان للعام الثامن الهجري.

والجهاد قمة العبادات وأعظم القربات إلى الله عز وجل، وكان ﷺ يحث أصحابه كثيراً على الجهاد والثبات والتضحية والاستشهاد.

ففي صحيح الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله».

وفي حديث آخر: تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي، فهو ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى منزله الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة. والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيفته حين كلم، لونه لون دم وريحه ريح مسك. والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني. والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل».



وقد حرص رسول الله ﷺ على تعليم المسلمين صدق النية في الجهاد وسلامة القصد، فحين جاء رجل يسأله: يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

وتأكيداً لهذه النية الصادقة أدب الرسول أصحابه على استمرار هذا العزم في القلب، مصاحباً للاستعداد الدائم، ومواكباً لممارسة التدريب المستمر.. فقال: «من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه».

«من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق».

وحدث عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه».

وقد رثى أحد الصحابة في حال الكبر يمارس الرمي ويحافظ على التدريب، رغم المشقة التي تعثره، فقيل له في ذلك، فقال: لولا كلام سمعته من رسول الله ﷺ لم أعانه.. إنه قال: «من علم الرمي ثم تركه فليس منا، أو قد عصي».

وإذا أردنا أن نتعرف على مواطن القدوة في الرسول القائد فعلينا أن نقف عند غزوات الرسول ﷺ التي قاتل فيها وخطط لها وياشر مهمة القيادة العسكرية الناجحة..

وعلى سبيل المثال: ففي يوم بدر الذي سماه القرآن (يوم الفرقان) نلمس هذه القيادة العسكرية الفذة في النقاط التالية:

أولاً: تهيئة الرأي العام للمعركة، واستيثاق القائد من أمر الجيش، ويظهر ذلك جلياً حين ندب الرسول المسلمين إلى اعتراض قافلة أبي سفيان، لعل الله أن ينفلها لهم، فلما أفلتت القافلة بدأ الرسول ﷺ يستشير الناس للجهاد في مواجهة قريش التي أقبلت بجموعها الحاشدة، حتى اطمأن إلى صدق العقيدة القتالية وخالص الولاء للدين القيم.. ولقد قال سعد بن معاذ يومئذ:—

فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا

على بركة الله .

ثانياً: مشورة الرأي حكمة، والحرب خدعة، ولذا قبل الرسول القائد مشورة الحباب ابن المنذر بن الجموح حين أشار بتغيير المنزل الذي نزل به جيش المسلمين، وقال بأدب جم: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون .

كذلك قبل الرسول ﷺ مشورة سعد بن معاذ حين قال: يا نبي الله، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحققت بمن وراءنا، فقد تخلف عنك أقوام.. يا نبي الله، ما نحن بأشد لك حباً منهم ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمينك الله بهم، فيناصحونك ويجاهدون معك .

وقد بنى عريشاً لرسول الله ﷺ فكان فيه وذلك من باب الحرص على القائد والذود عنه لأنه يمثل أمة بأسرها أما الجندي فهو فرد من أمة .

ثالثاً: التحام القائد بجنوده وقربه منهم أمر حتمي لاكتساب النصر، وقد عدل الرسول صفوف أصحابه يوم بدر بنفسه وخرج إلى الناس وحرزهم قائلاً: قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض .

فقال رجل من الانصار: عرضها السموات والأرض ١٩

قال: نعم. فقال الرجل: بخ.. بخ..

فقال له الرسول القائد: ما يحملك على قولك بخ بخ؟

قال الرجل: رجاء أن أكون من أهلها .

فقال عليه الصلاة والسلام: فأنت من أهلها .

فتقدم الرجل فكسر جفن سيفه، وأخرج تمرات فجعل يأكل منهن . ثم ألقى بقية التمر من يده وقال: لئن أنا حييت حتى آكلهن إنها حياة طويلة . ١١٠

وفى رواية: إني لحريص على الدنيا إن جلست حتى أفرغ منهن .

فرمى ما فى يده، فحمل بسيفه، فقاتل حتى قتل.

رابعاً: الدعاء مخ العبادة، ودعاء المرء وقت الشدة مستجاب، والأسباب المادية وإن كانت ضرورية لا يجوز التفريط فيها، فإن استشعار القلب بالملأ الأعلى أمر حتمى لروعة النصر وجلاله، ولذا كان رسول الله ﷺ يناشد ربه ما وعده من نصر قائلاً:

«اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذى وعدتنى ..

اللهم أحنهم الغداة .. أى أهلكهم.

اللهم إن تهلك هذه العصابة - أى المسلمون - لا تعبد .

وظل الرسول القائد يعيش بقلبه مع المعركة، ويلهج فؤاده ولسانه إلى الله فى علاه، حتى قال أبو بكر مشفقاً عليه: يا نبي الله، بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدهك.

وصدق الله حيث يقول: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [١٢٦] عمران: ١٢٦.]

هذا وقد جعل الله تعالى للمسلمين فى مواجهة عدوهم حالين أشارت إليهما الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٦٥) الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦) [الأنفال: ٦٥، ٦٦].

الحال الأولى: أن يثبت العشرون من المسلمين أمام المائتين من المشركين والمائة أمام الألف، وهذه عند قوة يقين المسلمين وكمال ثقتهم بالله تعالى وصدق توكلهم عليه سبحانه، فالواحد من المسلمين يقاتل عشرة من الكافرين.

الحالة الثانية: عندما يتناقص الإيمان ويستولى حب الدنيا على المسلمين جعل الله ثبات المسلمين واجباً إذا كانوا على النصف من عدوهم، فالمسلم الواحد يجب تكليفاً شرعياً أن يثبت أمام الاثنين ..

وما بعد ذلك يعد فراراً من الميدان ونكوصاً عن الجهاد، وهو من أكبر الكبائر.. قال

تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْلِكْهُمْ يُؤْمِتْ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيَتْسَى الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٦] .

والملاحظة الجديرة بالاعتبار أنه في كلتا الحالتين نجد أن المسلمين أقل عدداً من عدوهم، وما ذاك إلا لأن نصرة المسلمين إنما هي بطاعتهم لله ومعصية عدوهم له، فإذا اشتركوا في المعصية تركهم الله وشأنهم ولم تشملهم عناية الله، فتكون الغلبة للمشركين ..

ولو أن المسلمين اليوم عقلوا هذا المعنى وصدقوا في ولائهم لله ورسوله، لما حلت بهم النكبات ..



البحث الرابع

## الرسول وليلة القدر

- العشر الأخير.
- القدر.
- ليلة القدر.
- سورة القدر.
- ليلتان للقدر.
- حوار صحفي.

## أ - العشر الأواخر

جاء في الصحيح عن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المنزلة».

والمعنى: أن النبي ﷺ كان يجتهد في عبادة الثلث الأخير من رمضان أكثر من غيره، ويشاركه في ذلك أهل بيته الكرام..

والمراد بقول: (أحيا الليل): السهر فيه بالطاعة.

والمراد بشد المنزلة: الاجتهاد في العبادة واعتزال النساء، لأن هذه الفترة يعتكف فيها فلا يباشر النساء.

وقد يتساءل البعض عن العشر الأواخر من رمضان وعشر ذى الحجة أيهما أفضل؟ فقد ورد في صحيح البخاري قول رسول الله ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح فيها أفضل منه في هذه العشر - يعنى العشر الأوائل من ذى الحجة - قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء».

وقد قال العلماء: إن أيام عشر ذى الحجة أفضل من أيام العشر الأخير من رمضان، لأن في الأولى يوم النحر الذي هو يوم الحج الأكبر. ويوم عرفة، ويوم التروية.

وإن ليالى عشر رمضان أفضل من ليالى عشر ذى الحجة. لأن في الأولى ليلة القدر وهى خير من ألف شهر.

أى أن التفضيل في عشر ذى الحجة باعتبار الأيام، وفي عشر رمضان باعتبار الليالى.

فما أحرانا أن نستقبل هذه المناسبات الكريمة بالتوبة الصادقة، والاستقامة على الحق، والافتداء برسول الله ﷺ.

## ب - القدر

القدر هو الشرف والمنزلة .. قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، فليلة القدر هي ليلة الشرف الذي اكتسبته من نزول ملك ذي قدر هو جبريل الأمين، بكتاب ذي قدر هو القرآن المجيد، على نبي ذي قدر هو محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، لامة ذات قدر هي أمة الإسلام، خير أمة أخرجت للناس.

كذلك يحصل القدر والشرف لمن يحيى هذه الليلة المباركة بما ينزل فيها من البركة والرحمة والمغفرة.

وقيل: القدر بمعنى القدر - بفتح الدال - الذي هو مؤاخي القضاء، والمعنى - كما يقول الإمام ابن حجر - : أنه يقدر فيها أحكام تلك السنة لقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

وبه صدر النووي كلامه فقال: قال العلماء سميت ليلة القدر لما تكتب فيها الملائكة من الأقدار، ورواه عبد الرزاق وغيره من المفسرين بأسانيد صحيحة عن مجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم.

وقال التوريشتي: إنما جاء القدر - بسكون الدال - وإن كان الشائع في القدر الذي هو مؤاخي القضاء بفتح الدال، ليعلم أنه لم يرد به ذلك، وإنما أريد به تفصيل ما جرى به القضاء وإظهاره وتحديده في تلك السنة لتحصيل ما يلقي إليهم فيها مقداراً بمقدار...<sup>(١)</sup>.

(١) فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، ج ٤، ص ٢٥٥.

## ج - ليلة القدر

حدث رسول الله ﷺ المسلمين على التماس ليلة القدر وإحيائها كي يحظى المسلم بالثواب الجزيل الذي أعده الله تعالى لعباده القائمين الصائمين.. ففي صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ».

وفى رواية: « من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ».

وجاءت روايات عند النسائى وأحمد تزيد (وما تأخر).

ومعنى الحديث: أن من صام رمضان وقامه تصديقاً بوعد الله وحكمه وطلباً للأجر والثواب، لا رياء ولا سمعة - غفر الله له ذنوبه المتقدمة، وحفظه من الذنوب المتأخرة، فلا يقع فى كبيرة، وتظل عناية الله تشملته وتسدد خطاه.

وقد التمس رسول الله ﷺ ليلة القدر فى العشر الأول من رمضان فلم يصادفها، ثم التمسها فى العشر الأوسط فلم يصادفها، وأخيراً بلغ أصحابه بوقوعها فى العشر الأخير.. بل حددها لهم بأنها فى الوتر من العشر الأخير.

ففى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: « أن رسول الله ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان ثم اعتكف العشر الأوسط فى قبة تركية على سديتها<sup>(١)</sup> حصير، فأخذ الحصير بيده فنحاه فى ناحية القبة ثم أطلع رأسه فكلم الناس فدنوا منه فقال: إني اعتكفت العشر الأول ألتمس هذه الليلة ثم اعتكفت العشر الأوسط، ثم أتيت فقل لى إنها فى العشر الاوخر فمن أحب منكم أن يعتكف فليعتكف.

فاعتكف الناس معه.

قال: وإنى أريتها ليلة وتروانى أسجد صبيحتها فى طين وماء.

فأصبح من ليلة إحدى وعشرين وقد قام إلى الصبح، فمطرت السماء فوكف<sup>(٢)</sup> المسجد فأبصرت الطين والماء، فخرج حين فرغ من صلاة الصبح وجبينه وروثة<sup>(٣)</sup> أنفه

(١) السدة: الباب.

(٢) وكف: نزل المطر من سقفه.

(٣) روثة أنفه: طرف الأنف ويقال لها: أرنبة.



فيهما الطين والماء، وإذا هي ليلة إحدى وعشرين من العشر الأواخر».

ففى هذا الحديث أخبرهم الرسول الكريم بوقوع ليلة القدر فى العشر الأخير، ونبأهم بعلامة تصاحبها يومئذ وهى نزول المطر فى المسجد وسجوده ﷺ على أرض مبتلة، فيعلق من أثرها شىء على جبهته الشريفة.

وقد صدق الله رسوله الرؤيا، فهطل المطر وما كان فى السماء آنذاك سحاب، ولكن الله أيد رسوله.. ففى بعض الروايات: «فرجعنا وما نرى فى السماء قزعة، وجاءت سحابة فمطرنا حتى سال سقف المسجد وكان من جريد النخل».

وأصبح الناس يومئذ يتحدثون عن ليلة القدر، وكانت ليلة إحدى وعشرين، ومع ذلك اختلفت الروايات واختلف العلماء فى تحديد ليلة القدر اختلافاً كثيراً.. وحكى الإمام ابن حجر أكثر من أربعين رأياً نختار منها ما يلى<sup>(١)</sup>:

١ - أنها ليلة سبع وعشرين وبه جزم أبى بن كعب وحلف عليه كما فى رواية مسلم.

يقول زر بن حبیش: سألت أبى بن كعب رضى الله عنه فقلت: إن أخاك ابن مسعود يقول: من يقيم الحول يصب ليلة القدر، فقال: رحمه الله أراد أن لا يتكل الناس، أما إنه قد علم أنها فى رمضان، وأنها فى العشر الأواخر، وأنها ليلة سبع وعشرين، ثم حلف لا يستثنى أنها ليلة سبع وعشرين.

فقلت: بأى شىء تقول ذلك يا أبا المنذر؟

قال: بالعلامة أو بالآية التى أخبرنا رسول الله ﷺ أنها تطلع يومئذ لاشعاع لها.

وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال:

تذاكروا ليلة القدر عند رسول الله ﷺ، فقال: أيكم يذكر حين طلع القمر وهو مثل شق جفنة».

وشق الجفنة نصفها، وفيه إشارة إلى أنها إنما تكون فى أواخر الشهر لأن القمر لا يكون كذلك إلا فى أواخر الشهر وهى ليلة سبع وعشرين.

٢ - أنها مختصة برمضان ممكنة فى جميع لياليه، وهو قول ابن عمر، رواه ابن أبى شبة بإسناد صحيح عنه، وروى مرفوعاً عنه أخرجه أبو داود، وفى شرح الهداية الجزم به عن أبى حنيفة، ورجحه السبكي فى شرح المنهاج.

(١) فتح البارى بشرح صحيح الإمام البخارى، ج ٤، ص ٢٦٢.

٣ - أنها ليلة سبع عشرة من رمضان، روى ابن أبي شيبة والطبراني من حديث زيد بن أرقم قال: ما أشك ولا أمتري أنها ليلة سبع عشرة من رمضان ليلة أنزل القرآن، وأخرجه أبو داود عن ابن مسعود أيضاً.

وأياً ما كان، فالمسلم مطالب شرعاً بتحرى هذه الليلة والتماسها، اقتداءً برسول الله ﷺ، ويكون ذلك بالاعتكاف، والمحافظة على الجماعة في الصلاة المكتوبة، وتلاوة القرآن، وقيام الليل، والدعاء إلى الله تعالى بخيرى الدنيا والآخرة..

ولعل في إخفاء هذه الليلة ما يحفز المسلم إلى دوام اليقظة والمراقبة لحدود الله عز وجل.

وقد يتساءل البعض: هل لهذه الليلة علامة معينة يراها الناس؟

جاء في صحيح مسلم أن الشمس تطلع يومئذ لا شعاع لها.

وفي العام الذى أخبر الرسول الكريم بالتماسها فى العشر الأخير ذكر أن من علامتها نزول المطر وسجوده فى طين وماء.. وتحقق ذلك.

ومما لا شك فيه أن الملائكة تنزل فى هذه الليلة المباركة، ولا مانع أن تتراءى بعض أنوارها للقائمين والركع السجود.

وحكى ابن حجر<sup>(١)</sup> أن الطبرى اختار أن جميع ذلك غير لازم، وأنه لا يشترط لحصولها رؤية شيء ولا سماعه.

(١) فى فتح البارى، ج٤، ص٢٦٦.

## د - سورة القدر

السورة السابعة والتسعون في المصحف الشريف تسمى سورة القدر، وهى خمس آيات :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۚ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۚ تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۚ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝ ﴾

وذكر الإمام مالك في الموطأ أنه سمع من يثق به من أهل العلم يقول: إن رسول الله ﷺ أرى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك، فكانه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل مثل الذى بلغ غيرهم فى طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر.

وتبدأ السورة ببيان أن القرآن العظيم بدأت نجومه تنزل فى هذه الليلة العظيمة التى هى خير من الحياة بأسرها.

ومن تكريم الله لهذه الأمة أن الملائكة يتقدمهم جبريل الأمين ينتشرون فى الآفاق بركة ورحمة للراكمين الساجدين، وتظل هذه المنحة الإلهية حتى مطلع الفجر..

وقد أخبر المعصوم ﷺ بتنزل الملائكة فى مواطن عدة، مثل تلاوة القرآن وحلق الذكر..

فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ - كما رواه مسلم - قال: «إن لله ملائكة سيارة فضلاء يتتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، فيسألهم الله عز وجل - وهو أعلم - : من أين جئتم؟

فيقولون: جئنا من عند عبادك فى الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك.

قال: وماذا يسألونى؟ قالوا يسألونك جنتك.

قال: وهل رأوا جنتى؟ قالوا: لا، يا رب.

قال: فكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرونك.

قال: ومم يستجيرونني؟ قالوا: من نارك يا رب؟

قال: وهل رأوا نارى؟ قالوا: لا.

قال: فكيف لو رأوا نارى؟ قالوا: ويستغفرونك.

فيقول: قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا.

يقولون: رب فيهم فلان عبد خطاء إنما مرفجلس معهم.

فيقول: وله غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم).

هذا وقد ذكر بعض العلماء فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أن للقرآن تنزيلين جملة واحدة قبل بدء نزوله على قلب سيدنا محمد ﷺ.

الأول: التنزل إلى اللوح المحفوظ، واستدل بقول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢].

الثانى: التنزل إلى بيت العزة فى السماء الدنيا، واستدل بأحاديث موقوفة على ابن عباس، منها: فصل القرآن من الذكر فوضع فى بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبى ﷺ.

وفى الحق فإن التنزل الأول لا يخص القرآن وحده، وشأنه فى ذلك شأن سائر ما علمه الله تعالى وسجله فى اللوح المحفوظ، وأشارت إليه الآية الكريمة: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

والآية الأخرى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبا: ٣].

أما التنزل الثانى إلى بيت العزة فليس فيه حديث مرفوع إلى رسول الله ﷺ، وحقائق الغيب لا يكفى فيها مثل هذه الأحاديث الموقوفة.

## هـ - ليلتان للقدر

إن تتبع الأحاديث الواردة في ليلة القدر وتحديدتها وأقوال العلماء يجعلنا نتساءل: هل ليلة القدر التي أحيها الرسول ﷺ وأمر المسلمين بإحيائها هي الليلة التي التقى فيها الرسول بالملك جبريل على قمة جبل النور في غار حراء؟

إننى أرى أن هناك فرقاً بين ليلة القدر التي نزل فيها قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، وبين ليلة القدر التي التمسها الرسول بمزيد العبادة والنسك..

فالأولى معلومة على وجه اليقين أو الظن الغالب، فهي الليلة التي كان فيها الرسول متحنثاً في غار حراء حتى فجأه الوحي، وهي الليلة السابعة عشرة من رمضان - على التحقيق - ولها من الملابس والآثار النفسية والاجتماعية ما لا يعقل معه نسيانها..

وأما الثانية فهي ليلة ثواب تفضل الله به على القائمين والركع السجود، وهي دائرة في ليالى الوتر من العشر الأخير من رمضان، ولا تعلم على وجه التحديد.

ودليلنا ما يلى:

أولاً: إن الأحاديث الصحيحة تصرح بأن الرسول ﷺ التمس ليلة القدر في العشر الأول من رمضان ثم الاوسط ثم الأخير، وليس معقولاً أن يكون التماسه ﷺ لليلة غار حراء، فقد شاع خبرها بين أهل بيته والسابقين فى الإسلام، وترتب عليها من جلائل الأعمال وعظائم الأمور ما لا يجعلها تنسى.

ثانياً: إن الرسول ﷺ أخبر أنه رآها فى المنام ونسيها عندما استيقظ أو عندما اختصم إليه رجلا..

ففى صحيح مسلم قال: «أريت ليلة القدر ثم أيقظنى بعض أهلى فنسيتها فالتمسوها فى العشر الأواخر».

وفى صحيح البخارى قال: خرج النبى ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلا من المسلمين، فقال: «خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم، فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة».

فدل ذلك على أنها شىء آخر غير ليلة الغار، لأن ليلة الغار لا تحتاج إلى إخبار إلهى أو

رؤيا منامية، فهي واقع له آثار كبرى شاهدة .

ثالثاً: إن رجالاً من الصحابة رأوا في المنام ليلة القدر وحددوها بأنها ليلة سبع وعشرين، وأخبروا رسول الله ﷺ بذلك .

ففي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله ﷺ : «أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر» .

فدل ذلك على أنها ليلة أخرى غير ما تعارف عليه الناس، إذ السابقون في الإسلام وبخاصة أبو بكر الصديق وعلى بن أبي طالب وغيرهم يدركون متى عاد الرسول من غار حراء ..

رابعاً: إن خلاف العلماء بين رفعها وإثباتها، وبين بقائها ودورانها، يؤكد أن ليلة القدر شيء آخر غير ليلة غار حراء، فليلة القدر التي يلتبسها المسلمون هي ليلة ثواب تفضل الله به على من يشاء من عباده ..

وعندما ساق الإمام ابن حجر أقوال العلماء في ليلة القدر واختلافهم إلى أكثر من أربعين رأياً – كان القول الأول: أنها رفعت أصلاً، وكان القول الثاني أنها خاصة بسنة واحدة رفعت في زمن رسول الله ﷺ، وكان القول الرابع أنها ممكنة في جميع السنة، وكان القول الخامس أنها مختصة برمضان ممكنة في جميع لياليه ..

وهذا كله يؤكد أن ليلة الغار غير ليلة القدر التي أمرنا بتحريها ..

وعلى هذا فهناك ليلتان للقدر:

ليلة قدر نزل فيها: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ .

وليلة قدر منحها الله لعباده كي يكتسبوا مزيد فضل ونعمة .

## حوار صحفي

نشرت صحيفة المدينة السعودية بتاريخ ٢٥ من رمضان سنة ١٤١٧ هـ حواراً معي تحت هذا العنوان :

أستاذ العقيدة في جامعة أم القرى يوضح الفرق بين الليلتين

ليلة القدر ليست هي الليلة التي نزل فيها القرآن على الرسول في الغار ..

وبتاريخ ٧ من شوال سنة ١٤١٧ هـ نشرت الصحيفة مداخلة تحت هذا العنوان :

أستاذ دار الحديث بمكة يعقب على أستاذ العقيدة بأم القرى

عفواً يا شيخنا .. ليلة القدر ليست ليلتين، ونسيانها عند الرسول جائز ..

وكان هذا التعقيب من الشيخ سيد عبد العال الأستاذ بدار الحديث الحيرية بمكة .

وبتاريخ ١٤ من شوال سنة ١٤١٧ هـ نشرت الصحيفة تعليقا لى تحت هذا العنوان :

مؤكداً أنها ليست جولات مصارعة .. الدكتور المسير :

ما زلت عند رأيي ودليلي .. ليلة الغار ليست هي ليلة القدر ..

وقد آثرت أن ألحق هذا المقال وما تلاه من تعقيب وتعليق بهذا الكتاب منفعة للقارئ الكريم ..

## حول ليلة القدر للدكتور محمد المسير

### مفهوم القدر

القدر - على ما نختاره - هو الشرف والمنزلة السامية والمكانة الرفيعة، ومفهوم الشرف تابع للمراد بالليلة ..

ونحن نرى أن ليلة القدر ليلتان :

١- ليلة غار حراء التى التقى فيها جبريل برسول الله ﷺ ونزل فيها قوله تعالى « اقرأ باسم ربك الذى خلق .. »

ويمكن أن نسميها ليلة القرآن أو ليلة الغار، وهى بحق ليلة قدر، نزل فيها ملك ذو قدر هو جبريل الأمين، بكتاب ذى قدر هو القرآن المجيد، على نبي ذى قدر هو محمد سيد ولد آدم، لأمة ذات قدر هى أمة الإسلام، خير أمة أخرجت للناس ..

٢- ليلة العبادة التى تفضل الله بها على أمة الإسلام، فجعل العبادة فيها تعدل ثواب العبادة فى ألف شهر، وحفها بمزيد التكريم فكانت سلاما عاما، تنزل فيها الملائكة يلقون السلام ويشيعون البركة على كل مسلم يذكر الله جل جلاله ..

### الفرق بين الليلتين

ليلة القرآن أو ليلة الغار معلومة على وجه اليقين أو الظن الغالب، فهى الليلة التى كان سيدنا محمد ﷺ متحنثا فى غار حراء حتى فجأه الوحى وضمه جبريل وقال له اقرأ، ورجع الرسول إلى زوجته السيدة خديجة يقول لها زملونى .. زملونى ..

فهى ليلة لها من الملابسات والآثار النفسية والاجتماعية والتاريخية ما يجعلها فى بؤرة الشعور دائما ولا يعقل نسيانها أو خفاؤها ..

وهذه الليلة عند المحققين هى ليلة السابع عشر من شهر رمضان فى السنة الحادية والأربعين لميلاد المصطفى ﷺ، الموافق السادس من شهر أغسطس للعام العاشر، بعد المائة السادسة لميلاد المسيح عليه السلام.

فهى ليلة تاريخية لا تتبدل ولا تنتقل ولا تدور ..



أما ليلة العبادة فهي ليلة كافأ الله بها أمة محمد ﷺ وخصها بمزيد الثواب وهي التي جاءت الآثار بالتماسها وتحريها، وهي التي دار حولها الخلاف بين العلماء..

## دلائل الفرق بين الليلتين

١- جاء في أسباب النزول روايات منها:

قول الإمام مالك في الموطأ «بلغني أن رسول الله ﷺ تقاصر أعمار أمته عن أعمار الأمم الماضية فاعطاه الله ليلة القدر.

وأخرج ابن أبي حاتم والواحدى عن مجاهد: أن رسول الله ﷺ ذكر رجلاً من بنى إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك فأنزل الله «إنا أنزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر» أي التي لبس ذلك الرجل السلاح فيها في سبيل الله.

فدلّ سبب النزول على أن ليلة العبادة منحة إلهية وعطاء لاحق حدث بعد ليلة الغار..

٢- إن الأحاديث النبوية الواردة في شأن ليلة القدر كلها في ليلة العبادة وليس في ليلة الغار..

ففي صحيح البخارى:

«تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان»

«وقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتهما فالتمسوها في العشر الأواخر»

«من كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر».

وفي صحيح مسلم:

«إني اعتكفت العشر الأول ألتمس هذه الليلة ثم اعتكفت العشر الأوسط ثم أوتيت فقبل لي إنها في العشر الأواخر، فمن أحب منكم أن يعتكف فليعتكف، فاعتكف، فاعتكف الناس معه»

فالتحرى والالتماس والاعتكاف ليس بحثاً عن ليلة الغار، وليس محاولة لمعرفة متى كانت، وإنما يعقل التحرى والالتماس والاعتكاف لليلة جديدة أخفاها الله تعالى، هي ليلة العبادة..

فإن السبيل لمعرفة ليلة الغار والقرآن أن يسأل أهل بيته ومن آمن معه من السابقين

فى الإسلام..

٣- ساق البخارى فى صحيحه فى كتاب الصوم بابا بعنوان:

«تحرى ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر»

وقال شارحه ابن حجر:

فى هذه الترجمة إشارة إلى رجحان كون ليلة القدر منحصرة فى رمضان ثم فى العشر الأخير منه ثم فى أوتاره، لا فى ليلة بعينها، وهذا هو الذى يدل عليه مجموعة الأخبار الواردة فيها.

ثم ساق البخارى بابا آخر بعنوان:

رفع معرفة ليلة القدر لتلاحي الناس

واستدل بالحديث الشريف «خرج النبى ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحي رجلان من المسلمين فقال: خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحي فلان وفلان فرفعت، وعسى أن تكون خيرا لكم فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة»

فهذا يؤكد الفرق بين ليلة الغار والقرآن وبين ليلة العبادة، فإن ليلة الغار ليلة بعينها، محددة بوقت خاص لا يزول ولا يحول، لأنه حدث ارتبط بزمان فلا يرفع.

أما ليلة العبادة فهى التى قد تخفى، وقد يعلمها الرسول برؤيا منامية فإذا استيقظ نسيها لصارف شغله كما حدث من الشجار بين الخصمين المذكورين فى الحديث.

٤- ذكر الإمام ابن حجر فى شرحه لصحيح البخارى أن للعلماء أكثر من أربعين رأيا فى ليلة القدر.

منها أنها ممكنة فى جميع السنة، ومنها أنها مختصة برمضان ممكنة فى جميع لياليه، وما من ليلة من ليالى رمضان إلا وقال بها بعض العلماء، وذهب ابن العربى إلى أنها لا تعلم..

ودخلت المسألة مدخلا غير صحيح شرعا، فنسب إلى ابن عباس أنها ليلة سبع وعشرين اعتمادا على أن كلمة «هى» فى سورة القدر سابع كلمة بعد العشرين، وقيل إن ذلك من ملح التفسير وليس من يقين العلم.

وأقول إن هذا ليس دليلا يعتد به شرعا ثم إنه خطأ من حيث اللغة، لقد عدَّ «إنا»

كلمة مع أنها كلمتان : إن والضمير، وعدَّ «أنزلناه» كلمة مع أنها ثلاث كلمات : الفعل الماضي «أنزل» والفاعل ضمير المتكلم والمفعول ضمير الغائب ..

ثم أتساءل : هل خلاف العلماء هنا حول ليلة القدر وهذه الكثرة من الآراء كانت تبحث عن معرفة ليلة الغار وتحديد ليلة القرآن ؟

لا أظن أحدا من العلماء يقول بذلك، وإن الذى لم يتنبه إليه الباحثون قديما ولا حديثا هو أن الخلاف حول ليلة القدر إنما هو خلاف حول ليلة العبادة التى امتن الله بها على أمة الإسلام ..

أما ليلة القرآن والغار فقد وقع فيها حدث عظيم وارتبطت بمواقف لا تنسى، واجتمع لها من الأسباب ما يجعلها محل الحفظ والتذكر دائما .

### حكمة إخفاء ليلة العبادة

لعل فى إخفاء ليلة العبادة ودورانها ما يحفز المسلم إلى دوام اليقظة والمراقبة لحدود الله، واتصال القلب بالملا الأعلى ..

وقد أخفى الله أشياء فى أشياء لحكمة، فأخفى ساعة الإجابة فى يوم الجمعة ليعم الدعاء اليوم كله، وأخفى الصلاة الوسطى فى الصلوات لتؤدى كلها، وأخفى لحظة الموت لتعمر الحياة كلها بالتوبة والعمل الصالح .. وهكذا فلسنا مكلفين بمعرفة وتحديد القدر، فهذا تدقيق ليس وراءه تحقيق، وبحث لا يصل إلى يقين، وجهد لا يؤدى إلى فائدة ..

### علامات ليلة العبادة

ورد لليلة القدر علامات أكثرها لا تظهر إلا بعد أن تمضى، منها فى صحيح مسلم أن الشمس تطلع فى صبيحتها لا شعاع لها ..

وقيل إن لها أنوارا معينة أو أن المسلم يسمع سلاما أو خطابا من الملائكة .. وهذا لا نعول عليه كثيرا والعبرة بالاستقامة والطهر والنقاء، والله يختص برحمته من يشاء ..

### إحياء ليلة القدر

المسلم مطالب شرعا بتحرى ليلة القدر والتماسها اقتداء برسول الله ﷺ ويكون ذلك بالاعتكاف والمحافظة على الجماعة فى الصلوات الخمس، وتلاوة القرآن وقيام الليل وكثرة الاستغفار والابتغال إلى الله تعالى بخيرى الدنيا والآخرة ..

## تعقيب للشيخ سيد عبد العال

عفواً يا شيخنا .. ليلة القدر ليست ليلتين ونسيانها عند الرسول جائز  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

إننى أعلم من نفسى عجزى وقلة حيلتى فعلمى يسير وقلمى كليل وبضاعتى مزجاة وأرجو من العلى القدير التوفيق والسداد فى جميع الأمور إنه نعم المولى ونعم النصير وألتمس العذر من القارئ الكريم ومن فضيلة شيخنا الجليل الدكتور محمد أحمد المسير والله من وراء القصد وهو حسبى ونعم الوكيل: فضلا شيخنا الكريم إننى استسمحك فى النزول لميدان التعليق على ما كتبتة فضيلتكم فى جريدة (المدينة) الغراء فى يوم الاثنين الموافق ٢٥ رمضان ١٤١٧ هـ تحت عنوان (ليلة القدر ليست هى الليلة التى نزل فيها القرآن على الرسول فى الغار) وأقول مستعينا بالمولى جل وعلا: آسف يا فضيلة الشيخ لطفا نحن نعلم أن القرآن نزل فى شهر رمضان ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقال تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣] وهذه الليلة هى ليلة القدر وقال تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ فهذه الآيات أتت على هذا العنوان فنسفته نسفا والحمد لله بفضلته تتم هذه الجولة الأولى.

ثم تفضل سماحتكم يا شيخنا بقولكم (ونحن نرى أن ليلة القدر ليلتان) عفواً شيخى بارك الله لنا ولكم فإننى على حد علمى لم أسمع بهذا عن السابقين أو اللاحقين فمن سلف شيخنا فى ذلك ١٩ ومن الذى فرق هذه التفرقة ١١٩ ومن الذى سمي الليلة الأولى ليلة القرآن أو الغار والليلة الثانية ليلة العبادة ١١٩ فهذا التقسيم يخالف صريح القرآن ومتن الأحاديث الصحيحة بل والتى هى فى أعلى درجات الصحة للمعصوم ﷺ وكتب الحديث والتفسير واللغة والسير.. فكل هذه المصادر بالاستقراء كما تفضلتم تقول ليلة القدر ولم يقولوا ليلتى القدر وإننى أعجب يا شيخنا وأسأل هل تكرر كل الجهود ليلية العبادة وتلقى ليلة القرآن فى تابوت النسيان وتهمل بالكلية فى جميع المصادر ١٩ والسلف والخلف وعلماء الأمة قديما وحديثا على مدى عمر الأمة المديد إلى يومنا هذا يتحدثون عن قضاء الحاجة مثلا والاستنجاء والاستجمار والحيض والنفاس وأضراب ذلك ويفردون له أبوابا فى مصنفاتهم ويحملون عن عمد ليلة القرآن بالكلية فلا يتحدث عنها أحد كما تفضلتم.. أليس هذا ظلما للسلف والخلف وللامة المرحومة ١٩

ثم إنه ليس كل خلاف معتبرا إلا ما كان فيه نص أو أثر فما هو الدليل والبرهان على ذلك؟ وكان الإمام أحمد رحمه الله تعالى في الفتنة يقول: «أتونى بآية من كتاب الله أو بحديث من أحاديث رسول الله ﷺ» فلا بد لفصل النزاع أن نرده إلى الكتاب والسنة وندلل عليه بآية صريحة أو بحديث صحيح فكل إنسان كائنا من كان يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر كما قال الإمام مالك رضى الله عنه.. وهل قال بهذا القول الفقهاء والصحابه وسلف الأمة والعلماء العاملون؟

فالقُرآن فيه سورة سميت بسورة القدر وليست بسورة القدرين!

وفى هذه الصورة جاءت الليلة مفردة فى قوله تعالى ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ ولم يقل ليلى القدر، ثم (فيها) ولم يقل فيهما وقوله (هى) ولم يقل هما. وبنا شيخنا الكريم احسن الله لنا ولكم المثوبة وحسن القصد اللهم آمين فلتتم ليلة القرآن الكريم أو الغار وليلة العبادة وإننى اطرح سؤالاً إن سلمنا جدلاً بهذه التفرقة فما هو الاسم الذى تحمله تلك السورة؟ قرآن وغار أو عبادة!

فصدر السورة يتحدث عن ليلة القرآن ونهايتها تتحدث عن ليلة العبادة. فلو قلنا تتحدث عن ليلة القرآن إذن اهتملنا نهاية السورة عن عمد وكيف نفسرها؟ ولو قلنا تتحدث عن ليلة العبادة اهتملنا بداية السورة وكيف تاويل السورة كاملة؟ ولو قلنا السورة تتحدث عن الليلتين فقلوه تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ هذه ليلة القرآن ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ قال الشوكاني ( هذا الاستفهام فيه تفخيم لشأنها ) وأقول هذا السؤال عن ليلة القرآن السابقة للسؤال والإجابة على هذا السؤال وهى ليلة القدر خير من ألف شهر. . إجابة على الليلة السابقة ومثال ذلك ﴿الْحَاقَّةُ ١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ٤﴾، ﴿الْقَارِعَةُ ١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤﴾، ﴿وإن الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا﴾ .

محمد وما أدراك ما محمد نبي هذه الأمة، فالمسئول عنه محمد ﷺ والسؤال عنه والأجابة على السؤال ولا يصح قولى محمد وما أدراك ما محمد أرسل إلى مدين.. وقال ابن عيينة ما كان فى القرآن ما أدراك فقد أعلمه وما قال وما يدريك فإنه لم يعلم.

إذن يا فضيلة شيخنا تبين لنا أن القسمة والتعدد لليلة القدر لا يسمن ولا يغنى من

جوع وهى ليلة واحدة وتلك إذا قسمة ضيزى وهذا هو المسطر فى جميع مراجع الامة ومدون فى كتبها قاطبة ونطبق به القرآن والحديث والفقه والسير وانظر فضيلتكم مثلا اعضاء البيان ٩/ ٣٧٩ وفتح القدير ٥/ ٤٧١ وأسباب النزول ٤٨٦ والمرامى ١٠/ ٢٠٦ وفتح البارى ٤/ ٣٣٠ وابن كثير ٤/ ٥٦٢ والقاسمى ١٧/ ٢١٤ وابن عباس ٢/ ٩٨٥ والظلال ٦/ ٣٩٤٤ والقرطبى ج ٢٠/ ٨٨ والطبرى ١٢/ ٦٥١ وأيسر التفاسير ٥/ ٥٩٧ والنسفى ٢/ ٨٢٢ وحاشية الصاوى ٤/ ٣٣٦ ومصنف عبد الرزاق ٤/ ٢٤٦ ومسلم بشرح النووى ٨/ ٨٢ ومباحث فى علوم القرآن ١٠٠ وتخريج الاحاديث المدونة ٢/ ٧٢٧ والمراجع كثيرة جدا وهذا غيض من فيض فما سمعنا بهذا أبدا. وبأى قرينة فرقنا بين الليلتين وإن كان هذا اجتهدا من سماحة شيخنا فهل يوجد اجتهدا مع نص ١٩

وهذه هى الجولة الثانية ولله الحمد والمنة فقد دكت الأدلة هذه التفرقة وخر عليها السقف من فوقها وأصبحت هباء منثورا.

قال شيخنا حفظه الله ووفقنا وإياه لعمل الخير وقول الحق اللهم آمين: جاء فى أسباب النزول .. فذكر حديثين الأول حديث الموطأ وقول مالك بلغنى أن رسول الله ﷺ تقاصر أعمار أمته .. قال الدكتور الطاهر محمد الدرديرى فى تخريج أحاديث المدونة هذا الحديث بهذا السند حديث ضعيف لأنه منقطع ولم نقف عليه موصولا ولا أخرجه أحد غير مالك فى الموطأ انظر تخريج المدونة ٢/ ٧٢٩ وحديث ابن أبى حاتم والواحدى عن مجاهد أن رسول الله ﷺ ذكر رجلا من بنى إسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر .. قال كمال بسيونى زغلول فى تخريج أسباب النزول: مرسل، إذن الحديثان لا يحتج بهما ولله الحمد والمنة.

قال شيخنا أجزل الله لنا وله المثوبة آمين فهى ليلة لها من الملابس والآثار النفسية والاجتماعية والتاريخية ما يجعلها فى بؤرة الشعور دائما ولا يعقل نسيانها أو خفاؤها هكذا قال رحمنا وإياه الله وأقول مستعينا بالمولى جل وعلا: هذا الكلام غير مسلم به أن نحكم بالعقل على الشرع .. فإين الدليل على استحالة نسيان تلكم الليلة ١٩ ألم ينس النبي ﷺ فى الصلاة .. وقصة ذى اليمين مشهورة وصحيحة فهو ﷺ يصلى كل يوم خمس صلوات ورغم أهمية الصلاة وتكرارها نسى ﷺ لأنه بشر ولكن الشرع بفضل الله وكرمه محفوظ والدين حفظه المولى جل وعلا وإن أى رسول بشر يقع منه ما يقع من البشر ولكن يجب علينا الإيمان بأنهم معصومون من الكبائر وأما الصغائر فقد تقع منهم ولكن لا يقرون عليها بل يوفقون للتوبة. وقد قال جل وعلا عن آدم ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ﴾

مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿ طه: ١١٥ ﴾ ونسى موسى ويوشع بن نون عليهما السلام ﴿ قَلَمًا بَلَّغًا مَجْمَعٌ بَيْنَهُمَا نَسِيًا حُوتَهُمَا ﴾ [الكهف: ٦١] وعن يوشع ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتِنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ ﴾ [الكهف: ٦٣] وقال موسى للخضر ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ [الكهف: ٧٣] وقال تعالى للنبي ﷺ ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف: ٢٤] وقال ﴿ سَنَقِرُّكَ فَلَا تَنْسَى ﴾ [الاعلى: ٦] ونفى النسيان عن نفسه جل وعلا في جواب موسى على فرعون ﴿ قَالَ عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ [طه: ٥٢] ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًا ﴾ [مريم: ٦٤] وقال عن نبينا ﷺ ﴿ وَإِنَّمَا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الانعام: ٦٨] فالانبياء يقع منهم النسيان لكن بعيد عن التبليغ وذلك لحفظ الشرع والرسالة فكيف يعقل أن يأمر بالتبليغ لشيء قد نسيه؟ وقد قال رسول الله ﷺ في حديث ابن مسعود رضى الله عنه في السهو: (إنما أنا بشر مثلكم انسى كما تنسون) وقد بوب البخارى باب نسيان القرآن.. وقول الله تعالى «سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله» وقال عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت سمع النبي ﷺ رجلا يقرأ فى المسجد فقال: يرحمه الله لقد أذكرنى كذا وكذا آية من سورة كذا.. الحديث نظم ٥٠٣٧ انظر الفتح ٩/ ١٠٤.

وقال الحافظ إن الله أخبره أنه لا ينسى ما أقرأه إياه وعن الحسن وقتادة إلا ما شاء الله أى قضى أن ترفع تلاوته وعن ابن عباس إلا ما أراد أن ينسيكه وقال الحافظ الحديث حجة لمن أجاز النسيان على النبي ﷺ فيما ليس طريقه البلاغ مطلقا وكذا فيما طريقه البلاغ لكن بشرطين أحدهما أنه بعدما يقع منه تبليغه والآخر أنه لا يستمر على نسيانه بل يحصل له تذكره إما بنفسه وإما بغيره انظر الفتح ٩/ ١٠٦ والله تعالى ينسى من أراد له النسيان ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الحشر: ١٩]. وقال تعالى ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا ﴾ [البقرة: ١٠٦] فأقول بحول الله وقوته إنها ليلة واحدة ولا نخصص العام أو نقيده المطلق إلا بدليل.

ولحكمة عظيمة رفعها الله ونسيها الرسول ﷺ ففى فتح البارى الحديث رقم ٢٠١٦ قال «إنى أريت ليلة القدر ثم انسيتهأ أو نسيتهأ» انظر الفتح ٤/ ٣٢٢ قال الحافظ: شك من الراوى هل أنساه غيره إياها أو نسيها هو من غير واسطة، وفى الحديث ٢٠١٨ وقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتهأ البخارى وفى الحديث رقم ٢٠٢٣ عن عبادة بن الصامت قال خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال خرجت

لاخبركم بليلة القدر فتلاحي فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم» فليس مستبعدا أن ينساها النبي ﷺ أو ينسيها الله له لحكمة يريد بها جل وعلا وهو أحكم الحاكمين .

الجولة الأخيرة قولكم يا فضيلة الدكتور غفر الله لنا ولكم: إن الذى لم ينتبه إليه الباحثون قديما ولا حديثا هو أن الخلاف حول ليلة القدر إنما هو خلاف حول ليلة العبادة التى امتن الله بها على أمة الإسلام.. فإذا كانت فى ليلة العبادة على حد قولكم منحة للامة فليلة القرآن أعظم المنح والمنة لنزول الذكر الحكيم فيها.. وإننى أشم اعتراف فضيلتكم بأن هناك إجماعا قديما وحديثا وفى قولكم إن الذى لم ينتبه إليه الباحثون قديما ولا حديثا.. يعنى إنه لم يقل بهذا القول واحد ولم يوجد مخالف واحد .

يا شيخنا الفاضل ألم يقل الحق سبحانه وتعالى ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾ [النساء: ١١٥] .

إن الامة لا تجتمع على باطل وقد روى الترمذى رحمه الله أن النبى ﷺ قال : (لا تجتمع أمتى على ضلالة) وهو حسن لغيره .

وأخيرا اللهم اجعل ما كتبت بردا وسلاما، وكنت آمل أن نبحث فى قضايا هامة يحتاج إليها المسلمون لا ليتشكك فيها المتشككون ويسعنا فى مثل هذه ما وسع السلف الصالح فهم أغزر علما وأتقى ربهم وأنفذ بصيرة وأطهر قلوبا رضى الله عنهم أجمعين .

هذا ما تيسر والله أعلى وأعلم فإن وفقت للحق فمن ربي جل وعلا وإن أخطأت فمنى ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه وحسبى أننى بذلت الوسع والحمد لله أولا وآخرا .

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد ..

الشيخ سيد عبد العال

الأستاذ بدار الحديث الخيرية بمكة



## تعليق على تعقيب حول ليلة القدر

### للدكتور محمد المسير

أحب شيء إلى العلماء هو البحث العلمي والحوار العقلى الهادف، ويعلم الله أنى ما طرحت رأياً، ولا قدمت فكرة إلا وأُحِبَّت أن يدور حولها حوار يصل بنا إلى الحق..

وعندما قامت صحيفة «المدينة» الغراء بإجراء حوار معي حول ليلة القدر قلت لمراسلها الأخ الفاضل عماد المهدي:

إن لى رأياً أرجو أن يكون موضوعاً للمناقشة والحوار على صفحات «المدينة» الغراء، فإننى أريد أن أطمعن إلى ما ذهبت إليه..

وهذا الرأى قيل فى مناسبتة ونشر فى وقته، وهو العشر الاخير من شهر رمضان المبارك، ويحتاج إليه المسلم فى زاده الروحى والعقدى.. وقد سبق أن طرحت هذا الرأى منذ أكثر من عشر سنين فى كتابى «الرسول ﷺ فى رمضان»، وناديت به فى كل وسائل الإعلام..

وعندما علمت أن الأخ الكريم فضيلة الشيخ سيد عبد العال قام بالتعليق على الحوار الصحفى معى الذى نشر بتاريخ ٢٥ من رمضان سنة ١٤١٧ هـ فرحت فرحاً شديداً، لأن الحكمة ضالة المؤمن..

ولما قرأت التعليق لم أجد ما ينقض دليلاً، ولا ما ينبه إلى غائب، ولا ما يذكر بمنسى..

وانتهيت إلى أن رأينا صواب يحتمل الخطأ، ورأى غيرنا خطأ يحتمل الصواب، وبالتالي فلا يزال رأينا هو الرأى، ودليلنا هو الدليل، ولا يزال شعارنا قول الله تعالى «هل عندكم من علم فتخرجوه لنا» ١٩

وما على الأخ الكريم فضيلة الشيخ سيد عبد العال إلا أن يراجع ما كتبت، ويتأمل ما أردت، ويتفحص ما قلت.. ولى بعض الملاحظات المنهجية المتعلقة بكيفية الحوار وضوابطه وما يجب أن يكون عليه..

فمن خلال التعليق المنشور فى صحيفة «المدينة» الغراء بتاريخ ٧ من شوال سنة

١٤١٧هـ أنبه إلى ما يلي:

أولاً: افتعل فضيلة الشيخ سيد عبد العال معركة، وصور لها ميدانا، وحدد لها جولات، وكان هو الخصم والحكم فيها، ومنح نفسه قدرة النفس والدك والهدم... فقال:

فهذه الآيات أتت على هذا العنوان فنسفته نسفا، والحمد لله بفضلته تتم هذه الجولة الأولى.

وقال: وهذه هي الجولة الثانية ولله الحمد والمنة فقد دكت الأدلة هذه التفرقة، وخر عليها السقف من فوقها وأصبحت هباء منثورا. وكان فضيلة الشيخ في مباراة للمصارعة أو الملاكمة، ويدو- والله أعلم- أن الشيخ مغرم بمشاهدة رياضة العنف.. 11

يا أخى الكريم: أين هذا من قول الله تعالى لرسوله ﷺ في حق المشركين والكافرين: «تعالوا إلى كلمة سواء»، «وإننا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين»

ثانيا: إن فضيلة الشيخ سيد عبد العال نسي أن للصحافة فناً في الإخراج ومخاطبة القارئ الكريم.. فعنوان الحوار الصحفي معى ليس من اختراعى، وإنما هو من وضع الصحيفة كى تشد القارئ إلى هذا الموضوع المهم فيقرأه بإمعان وروية..

وأظن أن عنوان تعليق الشيخ كما نشر ليس من اختراعه أيضا، وإنما هو من وضع السادة المشرفين على الصفحة- جزاهم الله خيرا.. فيا أخى الكريم دعك من العنوان، واترك الصحافة تؤدى رسالتها وعليك بلب الموضوع وجوهره..

ثالثا: ألح فضيلة الشيخ فى طرح سؤاله التالى:

هل قال بهذا القول الفقهاء والصحابة وسلف الأمة والعلماء العاملون؟ وأقول: رفقا أيها الأخ الكريم، إن باب الاجتهاد بضوابطه الشرعية مفتوح إلى يوم القيامة.. وما كان عطاء ربك محظورا.

ولو أن أحدا سبق بهذا القول، ما كان رأيا لى واجتهادا، وما نسبته إلى نفسى، فمن بركة العلم نسبته إلى قائله..

ولو وقف كل عالم مجتهد على ما قاله الأول ما تعددت الاجتهادات ولا تنوعت المذاهب، وإذا كان الله قد فتح على الأول فهل بيدك مفاتيح خزائن الله؟

إن الذى أعدى الأول هو الذى يعدى الثانى، وإن الذى فتح على السلف هو الذى يفتح على الخلف ١١٠٠

وقد أعوز الشيخ تفسير سورة القدر، وأخذ يقلب الوجوه حول بدايتها ونهايتها، ووصف رأينا بالتفرقة بين ليلة القرآن والغار وليلة العبادة والقيام بأنها قسمة ضيزى ولا تسمن ولا تغنى من جوع.

وأقول: هون على نفسك أيها الشيخ فإن مشروعية صيام شهر رمضان وقيام لياليه وتحرى ليلة القدر إنما كانت فى العهد المدنى، وسورة القدر سورة مكية تتحدث عن ليلة القرآن والغار، وبدايتها ونهايتها تمجيد لهذه الليلة وتكريم، فهى خير من ألف شهر، والعدد هنا مراد به التكثير، فهى خير من الزمان بأجمعه، وعبر القرآن عن تنزل الملائكة والروح بالفعل المضارع بدلا من الماضى لاستحضار الصورة الروحانية لتلك الليلة المباركة ..

ومن المعلوم أن الوحى عندما يتنزل على الأنبياء تصحبه الملائكة تحرسه وتزفه كما قال تعالى ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهَرُ عَلَيْهِ أَحَدًا﴾ (٢٦) إِلَّا مِنْ أَرْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿ [الجن: ٢٦ - ٢٨].

وليلة القرآن والغار هى ليلة السلام والإسلام، بها انشق الصبح وطلع الفجر ..

رابعا: إن ألف، باء الحوار هى تحديد محل النزاع، حتى لا تتشعب المسائل، ولكن فضيلة الشيخ تكلم فى عموميات وخاض فى مسلمات وأطال فيما لا خلاف حوله ..

وعلى سبيل المثال فقد ساق الشيخ آيات كريمة تثبت أن القرآن المجيد نزل فى شهر رمضان وفى ليلة القدر، ونسى أو تناسى أن هذه الآيات بعينها قد جاءت فى صدر الحوار معى حول ليلة القدر .. وأن هذه المسألة لا خلاف حولها ولا نقاش فيها.

كذلك أطنب الشيخ فى الاستدلال على جواز نسيان النبى ﷺ والأنبياء من قبله .. وهذه أيضا ليست هى محل النزاع، ثم إن إثبات العام لا يثبت الخاص كما هو مقرر فى أصول البحث والمنطق، فإذا قلنا - مثلا - إن زيدا من الناس عربى فليس يلزم أن يكون سعوديا، بل قد يكون مغربيا أو كويتيا ..

خامساً: إن الطامة الكبرى هو فهم الشيخ لرأينا بأنه شقاق لله ورسوله، واتباع لغير سبيل المؤمنين، وخروج على إجماع الأمة ..

وأقول: حسبنا الله ونعم الوكيل .. إذا كنا نحن العلماء نتقاذف بهذه التهم فماذا أبقيت أيها الشيخ للعلمانيين وقلول الفكر الماركسي؟! وأرجو من الشيخ أن يعيد قراءة الآية الكريمة «ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا» وليرجع إلى تفسيرها في مكتبته العامة، كما أرجوه أن يقرأ في كتب أصول الفقه ليرى مفهوم الإجماع وضوابطه وحجته ..

اللهم اهدنا إلى الحق وشرح صدورنا له ..

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ..

اتضح لي بعد ذلك أن فريقاً من العلماء يرى أن سورة القدر مدنية، وهذا يؤكد كثيراً ما ذهبنا إليه، ويراد بليلة القدر في السورة ليلة العبادة الممنوحة من الله تعالى لهذه الأمة، ولا علاقة لسورة القدر بليلة الغار، ويكون مرجع الضمير في «أنزلناه» إلى النص القرآني المنزل في هذه السورة، كما قال تعالى في مفتتح سورة النور «سورة أنزلناها».

ويكون المعنى إننا أنزلنا هذا النص القرآني أو هذا الجزء القرآني في شأن ليلة القدر، التي هي ليلة العبادة. ولعل سبب النزول الذي سبق ذكره يرجع أن السورة مدنية، وقد ذكر البيضاوي في تفسيره أن سورة القدر مختلف فيها، وساق الشيخ زاده في حاشيته على التفسير أنه قيل إن سورة القدر أول سورة نزلت بالمدينة، ولم يذكر الشيخ هبة الله في كتابه الناسخ والمنسوخ إلا أن سورة القدر مدنية وليس فيها ناسخ ولا منسوخ.

## البحث الخامس

### مع القرآن في شهر القرآن

- اللقاء الأول للوحى.
- اللقاء الأخير للوحى.
- المعجزة الكبرى.
- تذوق البيان القرآنى.
- ترجمة القرآن.
- تلاوة القرآن
- تعلم القرآن وتعليمه
- شفاعة القرآن
- شفاعة سورتي البقرة وآل عمران
- شفاعة سورة الملك
- شفاعة قارئ القرآن

## اللقاء الأول للوحى

هيا الله تعالى رسوله محمداً ﷺ لتلقى الوحى، فلم يصبه شىء من سفاح الجاهلية، واشتهر فى قومه بأنه الصادق الأمين، ووقعت إرهابات كثيرة قبل بعثته، مثل حفظ الكعبة من هجمة الأحباش، وبركته عند حليلة السعدية، وتنبؤات الراهب بحيرا، وما رآه ميسرة خلال رحلة التجارة إلى الشام.. وغير ذلك كثير.

ولكن السيدة عائشة رضى الله عنها تحدثنا عن الإعداد النهائى قبيل تلقى الوحى، فتقول كما فى صحيح البخارى.

(أول ما بدئ به ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء).

لقد مكث الرسول ﷺ الستة أشهر الأخيرة لا يرى رؤيا إلا تحققت كما رآها. وكان ﷺ يتعبد فى غار حراء، وهو كهف بينه وبين مكة نحو ثلاثة أميال.

وعبادة الرسول قبيل البعثة كانت خلوة واعتزالا لباطل قومه ووثنياتهم، وكانت فكراً وتأملاً فى ملكوت السموات والأرض، وكانت نظراً إلى الكعبة المشرفة من قمة جبل النور فى محاولة لاستنطاق التاريخ عن قيمة هذا البيت العتيق وقيمته، كما كانت عبادته ﷺ إطعاماً للمساكين..

ويروى ابن إسحق أن رسول الله ﷺ كان يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضى رسول الله ﷺ جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به - إذا انصرف من جواره - الكعبة قبل أن يدخل بيته، فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته.

وهذا الشهر الذى اختاره الرسول الكريم ﷺ للتعبد هو شهر رمضان كله أو بعضه.

وفى اليوم السابع عشر من شهر رمضان للسنة الحادية والأربعين لميلاد المصطفى ﷺ، الموافق السادس من شهر أغسطس سنة عشر وستمئة لميلاد المسيح عليه السلام، كان يوم الوحى الأول ومجيئ الحق ولقاء جبريل الأمين.

ويحدثنا الرسول ﷺ عن ساعة ذلك اللقاء الفريد فيقول: فجاء الملك فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى، فقال: اقرأ،

فقلت : ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى، فقال : اقرأ، فقلت : ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى، فقال : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥] .

ويذهب الرسول إلى أهله بالخبر وهو فى تفكير عميق وشعور نفسى غريب، يحاول أن يتفهم حقيقة ما حدث، فتلقفه يدا زوجه الحانية السيدة خديجة، وإذا بها - بعدما سمعت ما قصه عليها الصادق الأمين- تقول فى ثقة كاملة : (أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، والله إنك لتصل الرحم، وتصديق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق) .

لقد جمعت هذه السيدة الحكيمة صفات سيدنا محمد ﷺ التى جعلته محل العناية الإلهية والاصطفاء للنبوّة ..

ولا تكتفى السيدة خديجة، بل تحاول أن تستوثق، فتذهب إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وهو من الحنفاء الذين التمسوا الدين الصحيح بعيداً عن وثنية قريش، وله علم بالكتب المقدسة لدى النصارى .

ويسمع ورقة حديثها، ويسمع من الصادق الأمين ما حدث له، فيقطع بالنبوّة لسيدنا محمد ويقول : والذى نفسى بيده إنك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى ..

ويشاء الله أن ينقطع الوحى فترة من الزمن يترقب فيها الرسول ويتشوق، وإذا باللقاء يتجدد .

وفى صحيح البخارى عن جابر بن عبد الله قال : سمعت النبي ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحى، فقال فى حديثه : فبينما أنا أمشى إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت رأسى فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض، فجئثت منه رعباً، فرجعت فقلت : زملونى، زملونى، فذرُونى .. فأنزل الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبُّكَ فَكْبَرُ (٣) وَتَيَّابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ١-٥] .

من هنا قام رسول الله يحمل الرسالة ويبلغ الدعوة، وانطلق نور الله من غار حراء .

وتقوم النبوّة على العقيدة والأخلاق والسلوك .

فالعقيدة تتمثل فى قوله تعالى : ﴿وَرَبُّكَ فَكْبَرُ﴾ .

قاله جل جلاله هو الخالق المدبر، وهو المهيمن الحكيم، وهو سبحانه المستحق للعبادة وحده.

والاخلاق تتمثل فى قوله تعالى : «وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ» .

يقال : فلان طاهر الثياب، وطاهر الجيب والذيل، إذا وصف بالنقاء من العيوب، والسلامة من مساوئ الاخلاق، فالآية الكريمة دعوة إلى محاسن القيم، وفضائل الحياة المثلى، ومبادئ النفس الإنسانية الراشدة

والسلوك يتمثل فى قوله تعالى : «وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ» .

والرجز بضم الراء وكسرهما : هو العذاب، والمعنى أن يهجر الإنسان ما يكون سبباً لعذابه، أى أن يسلك طريق الرشاد، ويتعد عن المآثم والمحرمات .

ثم جاء قوله تعالى : «وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْثِرُ» توضيحاً لفضل الله على سيدنا محمد ﷺ فى النبوة، وأنها محض اصطفاء وليست باجتهاد ولا مؤهلات شخصية تستوجبها، ولكن الله يصطفى من يشاء، وهو صاحب المنة والفضل، فلا تمن بعملك على ربك تستكثره .

أو المراد تجريد النبوة من المطامع الشخصية، وأنها مجرد حرص على هداية الناس دون مقابل مادى، فأجر الانبياء على الله وحده .. كما قال جل شأنه : ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخِرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (٧٢) وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ [المؤمنون: ٧٢-٧٣] .

وقد قال الانبياء جميعاً هذا المعنى لأقوامهم .. فقال نوح : ﴿ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ [هود: ٢٩] وقال هود : ﴿ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [هود: ٥١] .

ويكون المعنى حينئذ : لا تمن بالنبوة على الناس تستكثروهم بها وتأخذ عليها عوضاً من الدنيا .

ثم كان مسك التوجيه : «وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ» .

ولقد تحمل سيدنا محمد ﷺ ما لا يتحملة بشر، ولذا كان سيد أولى العزم من الرسل ..

ولمثل ذلك فليعمل العاملون ..



## اللقاء الأخير للوحي

جاء في صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

( كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة ) .

يربط لنا هذا الحديث الشريف بين الرسول والقرآن والجود ورمضان فالرسول ﷺ أجود الناس ، ولكن هذا الجود كان يتضاعف في شهر رمضان لسبب عظيم وهو مدارس القرآن في كل ليلة مع ملك الوحي الأمين جبريل عليه السلام ..

والمقصود من المدارس هو أن يقرأ أحدهما ويستمع الآخر ، وبذلك يثبت القرآن الجيد في قلب النبي وعقله ، وتحصل مطابقة المقروء للموحي به ، ويظل القرآن محفوظاً بعناية الله سبحانه ..

وكانت هذه المدارس تتكرر كل عام في ليالى شهر رمضان المبارك ، ويشاء الله تعالى أن تتكرر هذه المدارس في العام الأخير من حياة المصطفى مرتين ، ففي صحيح البخارى عن فاطمة الزهراء رضى الله عنها قالت : أسرّ إلى النبي ﷺ أن جبريل يعارضنى بالقرآن كل سنة ، وإنه عارضنى العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي ) .

فالمعارضة بمعنى المدارس ، أحدهما يقرأ والآخر يستمع ، تكررت مرتين في العام الأخير تأكيداً لحفظ القرآن ، وتنبيهاً على أن الرسالة آذنت بانتهاء ..

وفي تحديد آخر آيات القرآن نزولاً نجد روايات تفيد أن آخر القرآن نزولاً آيات الربا من سورة البقرة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٢٧٨) فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٨٠] .

وتفيد روايات أن آخر الآيات نزولاً آية : وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿ [البقرة: ٢٨١] .

وتضيف هذه الروايات أن النبي ﷺ عاش بعدها تسع ليال ثم مات ليلة الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول ..

وجاءت روايات تقول إن آية الدين أحدث القرآن عهداً بالعرش، وهى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ .. إلى قوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ويرى الإمام السيوطى أنه لا منافاة بين هذه الروايات فى آية الربا وآية «واتقوا يوماً» وآية الدين، لان الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها فى المصحف، ولأنها فى قصة واحدة وأخبر كل راوٍ عن بعض ما نزل بأنه آخر، وذلك صحيح ..

وليكن معلوماً أن آية سورة المائدة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ نزلت بعرفة عام حجة الوداع، وليست آخر ما نزل على الإطلاق، بل المقصود منها أن الله تعالى أكمل الدين بإقرارهم بالبلد الحرام وإجلاء المشركين عنه حتى أصبحت الكعبة خالصة للإسلام والمسلمين.

وآخر سورة نزلت هى سورة النصر:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ ١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ ٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝ ٣﴾.

نزلت هذه السورة جملة واحدة أوسط أيام التشريق فى حجة الوداع، وقد فهم منها الرسول ﷺ قرب انتهاء أجله حتى قال: (نعيت إلى نفسي).

وقد صح فى الحديث عن عائشة رضى الله عنها قالت:

( ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه «﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾» إلا يقول فيها «سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي» .

وهكذا كان اللقاء الأخير للوحى فى مدارس القرآن، وفى آخر سورة نزلت، وفى آخر آية تلقاها الرسول ﷺ، ثم انقلب إلى الرفيق الأعلى راضياً مرضياً، وختمت النبوة، وكان ﷺ العاقب فلا نبى بعده .

## المعجزة الكبرى

يتفرد سيدنا محمد ﷺ من بين سائر الأنبياء بأن معجزته الكبرى كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يحمل دليله معه، وينادي صباح مساء: ﴿وَأَن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

لقد كان لكل نبي معجزة تتناسب وعصره الذي عاش فيه، فموسى عليه السلام بعث في قوم انتشر فيهم السحر فكانت معجزته أن انقلبت عصاه حية تسعى وتلقف ما يافكون، فأدرك سحرة فرعون الفرق بين فعل الخلق وفعل الخالق فآمنوا برب العالمين.

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (١١٧) ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١١٨) ﴿فَغَلَبُوا هَٰنَاكَ وَانْقَلَبُوا صَٰغِرِينَ﴾ (١١٩) ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ (١٢٠) ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٢١) ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ [الأعراف: ١١٧-١٢٢].

وجاء عيسى عليه السلام في وقت علا للطب شأنه فكانت المعجزة شيئاً يفوق طور البشر ويعلمو مقدرتهم..

قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَٰئِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾

[آل عمران: ٤٩]

ثم كانت أمة العرب ولها شأنها في الغلب بالقول، والبيان في الحجة، والسبق إلى امتلاك المشاعر، فبعث الله سيدنا محمداً ﷺ من تلك البيئة ومعه القرآن المجيد، فسجدوا له قبل أن يؤمنوا لسمو بلاغته وعظم معانيه..

وحيث إن رسالة الإسلام خاتمة لمطاف الرسالات الإلهية، وعامة لجميع الأزمنة والأمكنة، وخالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فقد ارتكزت على التفكير العلمي وأشادت بالعقل الإنساني، إذ هو أعدل الأشياء قسمة بين البشر..

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣) ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن

دَابَّةُ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿﴾ [الجاثية: ٣-٦] .

ولعل هذا الفرق بين المعجزة العقلية لسيدنا محمد ﷺ والمعجزات الحسية الموقوتة لباقي الانبياء، هو ما أشار إليه الرسول الكريم عندما قال - كما فى صحيح البخارى - : « ما من الانبياء نبى إلا أُعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أُوتيته وحياً أوحاه الله إلى فارجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » .

فالقرآن الكريم هو المعجزة الكبرى للرسول ﷺ، وبه وقع التحدى للثقلين إنس وجن .

إن التحدى للعرب وقع فى مكة والمدينة، وأعلنه القرآن مرات كثيرة، وطالبهم بالاستعانة بمن شاءوا من علماء وحكماء وفصحاء، ففى سورة الإسراء يقول: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨] .

ثم خفف القدر المتحدى به فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣-١٤] .

ثم تنزل لهم فى التحدى فقال: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٧-٣٨] .

هذه الآيات مكية نزلت قبل الهجرة ثم ظل التحدى قائماً فى المدينة بعد الهجرة، فقال تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ .

إن التحدى العام للناس جميعاً طال على عمر الرسالة كلها ثلاثاً وعشرين سنة، وجعله الله حجة لصدق النبوة، فلماذا اتجهوا إلى حمل السلاح وخوض المعارك ووقوعهم أسرى وقتلى والأمر ميسور لو استطاعوا المعارضة!؟

إن الثابت والواقع والذي لا يقبل الريب أن الظاهرة القرآنية أوقعتهم في ذهول، وجعلتهم حيارى يتخبطون في أحكامهم عليها، وحكى القرآن المجيد نمطاً من هذا الخلط الذي شغل بالهم ..

فتارة يدعون القدرة على المعارضة:

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال: ٣١].

وتارة يتجهون في ادعاءاتهم إلى شخصية الرسول الكريم: ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّا لِلَّهِ أَهْلٌ لِّشَاعِرٍ مُّجْنُونٍ ﴾ [الصفات: ٣٦].

وتارة يستبد بهم التفكير فلا يصدر عنهم إلا المتناقضات: ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۖ فَقُتِلَ ۖ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ ۖ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۖ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۖ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ۖ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۖ ﴾ [المدثر: ١٨-٢٥].

إن العرب حارت عقولهم أمام الظاهرة القرآنية، وفي مواضع تفوق الحصر تتجلى هذه الظاهرة في تحد من نوع آخر، إنه الوصف بالعظمة والصدق، والوصف بالعزة والرفعة، والوصف بالاستمرار والخلود ..

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧].  
﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١: ٤٢].

﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

فهل للعرب أن يفاخروا أو ينافسوا!

لا موقف لهم، ولا تعليل لعجزهم، إلا أنهم ألفوا آباءهم ضالين، فهم على آثارهم يهرعون ..

لقد تعدد أسلوب القرآن في تحدى العرب، فوصف من كذب به بأنه أصم، وأبكم، وأعمى، وفي الظلمات ليس بخارج منها، وأضل من الأنعام، وشر من الدواب، وله في

الآخرة نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيا .. فما كان أيسر للعرب أن يعارضوا القرآن لو استطاعوا ليزيلوا عن أنفسهم هذه النقائص ويريحوا أفعدتهم من هذا العناء ..

لقد أكد القرآن في أسلوب معجز أنهم عاجزون عن المعارضة وقال: ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤] .

فالتعبير بقوله: « وَلَنْ تَفْعَلُوا » يفيد تأكيد نفى المستقبل .. وهذا هو منتهى التحدى لهم والإحباط من جانبهم ..

وقد يتوهم البعض أن التحدى القرآنى موجه للعرب فقط، فما بال الأمم غير الناطقة بالعربية؟

وهذا وهم كبير، فإن التحدى لأهل الذكر والاختصاص ينسحب على غيرهم من باب أولى، ومن شهد له الأطباء أو علماء الفضاء باختراع معين فاق به أقرانه لا يضيره أن يعترض عليه جاهل من عامة الناس ..

إن التحدى القرآنى موجه إلى العالمين في شخص الناطقين بالعربية، فإذا عجز العرب — وهم أهل اللغة وأرباب فصاحتها والعارفون بأسرارها — فقد لزمت الجميع الحجة وغلبهم الدليل ..

ومن أبى فليعارض وليقدم ما يثبت به معارضته، وسيعلم حينئذ أنه يعيش في سراب فكري وظلام عقدي، ولا نجاة له إلا في نور القرآن .

## تذوق البيان القرآنى

من المقطوع به أن القرآن المجيد نزل مفراً طوال مدة الرسالة التى تقدر بثلاث وعشرين سنة، منها ثلاث عشرة سنة فى مكة، وعشر سنوات فى المدينة، وذلك فى مناسبات شتى وأحداث بعيدة وقضايا متفرقة، وكان إذا نزلت آية أو آيات يقول الرسول ﷺ: **ضعوها فى مكان كذا من سورة كذا..**

ومع هذا الانفصال الزمنى نجد القرآن العظيم محكم الأسلوب، قوى الاتصال، آخذاً بعضه برقاب بعض، فى سوره وآياته، فى انسجام ووحدة وترابط، كأنما نزل جملة واحدة، وما ذاك إلا لأنه تنزيل رب العالمين..

وعندما ارتاب المشركون فى تنجيم القرآن وتفريقه نزل الوحي الإلهى مبيناً للحكمة فقال: ﴿وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿[الفرقان: ٥، ٦].

وفى نفس السورة يحكى أيضاً: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿[الفرقان: ٣٢-٣٣].

وفى سورة أخرى يوضح مزيداً من حكمة تنجيده وتفريقه فيقول: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

وهكذا كان ما اتخذوه سبباً للطعن حجة عليهم، فإنهم عجزوا عن أن يأتوا بنجم واحد من نجومه، وتحداهم القرآن بأقصر سورة منه، فكيف لو نزل جملة واحدة؟

ومن حكمة الله تعالى فى البيان القرآنى أنه مع بلاغته العظمى وإعجازه اللغوى فإنه ميسر للفهم، قريب للعقل، واضح الدلالة، قوى التأثير، ويستطيع كل إنسان مهما كان ذكاؤه أن ينتفع بهدايته.. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

إن القرآن المجيد قد تركب من جنس الكلمات التى يتكلم بها العرب، ومن نفس الحروف التى ينطقونها، ومع ذلك فقد وقف العرب مشدوهين أمام الإعجاز البيانى

للقرآن، ولعل هذا هو أحد الأسرار التي يرمز إليها القرآن في فواتح بعض سورته، مثل :  
الم، الر، ص، ق، ن.. إلخ.

وتحكي كتب السير أن عتبة بن ربيعة قدم إلى رسول الله ﷺ وقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث علمت من البسطة في العشيرة والمكان والنسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها.

قال الرسول: قل يا أبا الوليد.

قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا.

وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك.. وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا..

وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً - وكانوا يسمون التابع من الجن رثياً - لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الأطباء وبذلنا فيه أموالنا حتى نبترئك منه.

فلما فرغ عتبة من عرضه قال له الرسول ﷺ: فاستمع مني، ثم قرأ: ﴿حَمِّمْ ١﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمِلْ إِنَّا عَامِلُونَ ٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ٦﴾ [فصلت: ١-٦].

ثم مضى الرسول فيها يقرأها عليه، فلما سمع عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما حتى انتهى الرسول إلى السجدة منها.. فسجد، ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فانت وذاك!!

وفي رواية: فلما بلغ قوله تعالى: «فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود...».

قال عتبة: حسبك، حسبك، وأمسك على فيه وناشده الرحم.



ثم رجع إلى قومه فقال : لقد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة .. يا معشر قريش، أطيعونى واجعلوها لى، خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه، فوالله ليكون لقوله الذى سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به ...

وهكذا كان للقرآن أثره الاخاذ فى نفوس أئمة اللغة والبيان رغم شركهم .

ولعلنا نذكر أن إسلام عمر بن الخطاب كان من أثر تذوق لبيان القرآن حين سمعه فى دار أخته زوجة سعيد بن زيد، عندما دخل عليهما للبطش بهما لعلمه بإسلامهما، فما هى إلا لحظات سمع فيها القرآن من سورة طه، فاهتز قلبه لجلاله وإعجازه، فقصد إلى مجلس الرسول ﷺ وشهد شهادة حق بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ..

وقد أدرك زعماء الشرك فى مكة هذا الأثر العظيم للقرآن، فخافوا على أهليهم، وحاولوا بكل وسيلة منع الآذان من سماعه، وحكى القرآن ذلك فى قوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت: ٢٦] .

وسجل البخارى فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها قالت :

لما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد - مكان على خمسة أميال من مكة إلى جهة اليمن - لقيه ابن الدغنة، وهو سيد الغارة - قبيلة مشهورة - فقال : أين تريد يا أبا بكر؟

فقال أبو بكر: أخرجنى قومى فأريد أن أسبح فى الأرض وأعبد ربى .

فقال ابن الدغنة : فإن مثلك لا يخرج ولا يخرج، إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فانا لك جار، ارجع واعبد ربك ..

فرجع أبو بكر وارتحل معه ابن الدغنة وطاف على أشراف قريش يخبرهم بضمائه لجوار أبى بكر. فقالوا له : مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره، فليصل فيها وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به، فإننا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا .

فقال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه فى داره ولا يستعلن بصلاته، ولا يقرأ فى غير داره، ثم بدا لأبى بكر، فابتنى مسجداً بفناء داره، وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن، فينقذ عليه نساء المشركين وأبنائهم، وهم يعجبون به وينظرون إليه،

وكان أبو بكر رجلاً بكاءً، لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، وأفرغ ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم، فقالوا: إنا كنا أجرين أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره، فأعلن الصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبنائنا، فأنهه، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإنى أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك، ولسنا مقرين لأبى بكر الاستعلان، فأتى ابن الدغنة إلى أبى بكر وقرص عليه رأى قريش، فقال له أبو بكر: فإنى أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل..

إن دراسات متعددة للأسلوب القرآنى قام بها القدماء والمحدثون، خدموا بها هذا الجانب خدمة جليلة، وقد ذكروا مجموعة خصائص لهذا الأسلوب القرآنى المعجز، ونقتبس إشارات منها سجلها الدكتور محمد عبد الله دراز فى كتابه (النبا العظيم) وارتكز عليها الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى فى كتابه (مناهل العرفان فى علوم القرآن).

#### الخاصة الأولى:

النظام الصوتى البديع الذى قسمت فيه الحركة والسكون تقسيماً منوعاً، ووزعت فى تضاعيفه حروف المد والغنة توزيعاً بالقسط يساعد على ترجيع الصوت به..

إنه ليس بأنغام الموسيقى ولا بأوزان الشعر، ولكنه شئ آخر فى لحن متنوع متجدد، يأخذ بأوتار القلوب، ولا يخفى على أحد ممن سمع القرآن حتى ولو كان غير عربى..

إن الجمال الصوتى للقرآن راجع إلى الظاهرة الفريدة فى ترتيب حروفه وكلماته التى تخضع للإخفاء أو الإظهار أو الهمس أو الجهر، وغير ذلك مما هو معروف فى علم التجويد..

#### الخاصة الثانية:

القصد فى اللفظ والوفاء بحق المعنى، وهما غايتان لم يجتمعا لكلام بشر، فالذى يعتمد إلى ادخار لفظه يحيف على المعنى قليلاً أو كثيراً، والذى يعتمد إلى الوفاء بحق المعنى وتحليل عناصره وإبراز كل دقائقه، لا يجد بداً من أن يمد فى كلامه مدداً..

وقد اجتمعت هاتان الغايتان على تمامهما فى القرآن الكريم، فنجد بيان القرآن على قدر حاجة النفس، فلا إسراف فى اللفظ ولا إجحاف، ولا نقص فى عناصر المعنى ولا

شدوذ، فهو محاسن متوالية وبدائع تترا..

#### الخاصة الثالثة:

خطاب العامة وخطاب الخاصة، وهاتان غايتان متباعدتان، لكل منهما أساليبه ومعانيه، فالعامة تحتاج إلى الواضح المكشوف، والخاصة يكفيها الإشارة واللمحة..

وليس في طاقة البشر أن يقدموا أسلوباً واحداً يوجه إلى العلماء والجهلاء، وإلى الأذكى والأغبياء، وإلى السوقة والملوك.. ولكن القرآن وحده يراه البلغاء أوفى كلام بلطائف التعبير، ويراه العامة أحسن كلام وأقربه إلى عقولهم..

#### الخاصة الرابعة:

إقناع العقل وإمتاع العاطفة وهما أسلوبان متمايزان، ولقد بات العرف العام يقسم الأسلوب إلى علمي وأدبي، فنجد في كلام العلماء جفاء لا يحرك النفوس، ونجد في كلام الأدباء عمقاً لا يقنع العقول، ولا يتسنى للإنسان أن تأتي كل جملة من كلامه جامعة للغايتين معاً.. ولكن القرآن العظيم وهو في معمعان الاستدلال العقلي على البعث والإعادة في مواجهة المنكرين، يسوق استدلاله سوقاً يهز القلوب هزاً ويمتع العاطفة إمتاعاً.. قال تعالى: ﴿أَقْلَمَ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بُنِيَتْهَا وَزَيَّنَّاها وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۖ﴾ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذُكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٨) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿[ق: ٦-١١].

#### الخاصة الخامسة:

براعة القرآن في تصريف القول وثروته في أفانين الكلام، فهو يورد المعنى الواحد بالفاظ وطرق مختلفة لها مناسبتها بالسياق البياني، وعلى سبيل المثال فإن التعبير القرآني عن إباحة الفعل جاء بالطرق التالية:

- ١ - التصريح في جانبه بمادة الحل، نحو: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بِهِمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [المائدة: ١].
- ٢ - الأمر به مع قرينة صارفة عن الطلب، نحو: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

- ٣ - نفى الإثم عن الفعل، نحو : ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ .
- ٤ - نفى الحرج عنه، نحو : ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ...﴾ .
- ٥ - نفى الجناح عنه فى غير ما ادعى فيه الحرمة، نحو : ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا...﴾ [المائدة: ٩٣]
- ٦ - إنكار تحريمه فى صورة استفهام، نحو : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الاعراف: ٣٢] .
- ٧ - الامتنان بالشىء ووصفه بأنه رزق حسن، نحو : ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧] .

#### الخاصة السادسة :

الإجمال والبيان وهما غايتان متقابلتان لا يجتمعان فى كلام واحد للناس، فالكلام إما مجمل وإما مبين، لأن الكلمة إما واضحة المعنى لا تحتاج إلى بيان، وإما خفية المعنى تحتاج إلى بيان، ولكن القرآن وحده هو الذى انخرقت له هذه العادة، فتسمع الجملة منه وإذا هى بينة مجملة فى آن واحد وذلك أنها واضحة المعنى وضوحاً يريح النفس من عناء التنقيب والبحث لأول وهلة، فإذا أمعنت النظر فيها لاحت منها معان جديدة كلها صحيح أو محتمل، وكلما أمعنت فيها النظر زادتك من المعارف والأسرار بقدر ما تصيب أنت من النظر وما تحمل من الاستعداد، على حد قول القائل

يزيدك وجهه حسناً إذا ——— زادته نظراً (١)

(١) راجع كتاب (النبا العظيم) للدكتور محمد دراز، ص ١٠١، وكتاب (مناهل العرفان فى علوم القرآن) للشيخ محمد الزرقانى، ص ٢٠٥ .

## ترجمة القرآن

القرآن هو اللفظ العربى، المنزل على سيدنا محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سورة منه، وقد نقل إلينا متواتراً جيلاً بعد جيل، وسيظل كذلك تحقيقاً للوعد القرآنى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾، ومن مفاخر المسلمين التى لا تضارع احتفاظهم بالنص القرآن كما تلقاه الرسول الكريم من فم الوحى، وقراءتهم له كما نزل من لدن الحكيم العليم، من غير تحريف أو تغيير أو تبديل ..

والترجمة مهما أحكمت فهى تعبير ذاتى أو فهم شخصى للنص المترجم، وإن أصحاب التذوق اللغوى يدركون الفرق الشاسع بين قراءة قصيدة شعرية مثلاً كتبها الشاعر بلغته، وبين ترجمتها للغة أخرى، إنهم سيجدون فى القصيدة بلغة شاعرها معانى وإيحاءات مفقودة تماماً فى القصيدة بالغة التى ترجمت إليها ..

وإذا كان هذا فى كلام البشر، فكيف نتطاول إلى ترجمة كلام رب العالمين؟!

إن فى القرآن العظيم لطائف ودقائق يوحى بها النظم العربى والبيان اللغوى. وعلى سبيل المثال: ففى قوله تعالى «إياك نعبد وإياك نستعين». نجد أن تقديم الضمير المنفصل المنصوب «إياك» يدل على الاختصاص المفيد لتوحيد الربوبية والالوهية، كما أن التعبير بلفظ «نعبد» يدل على أقصى الخضوع والتذلل، وهو فى العربية موقوف على الذات الإلهية لا يستعمل لما سوى الله تعالى ..

وفى الآية الكريمة ما يسمى بالالتفات فى علم البيان من الغيبة إلى الخطاب ليكون أيقظ لإصغاء السامع، حيث يدرك أن عبادته إنما هى لذلك المعبود المختص بالخلق والامر ..

وفى الآية تقديم العبادة على الاستعانة، وإطلاق الاستعانة بغير تحديد المستعان فيه أو له ..

كل ذلك وغيره كثير مقصور على النظم العربى ويضيق عند الترجمة، وبما تجدر الإشارة إليه أن هناك أحكاماً فقهية قد تترتب على النظم العربى، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكُفَّينِ﴾ [المائدة: ٦].

فحرف الجر «الباء» هل هو للاستيعاب؟ أو للإلصاق؟ أو للتبعية؟ أخذ الإمام مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب، وأخذ الإمام الشافعى باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح، وأخذ الإمام أبو حنيفة ببيان رسول الله ﷺ، وهو ما روى أنه مسح على ناصيته، وقدر الناصية بربع الرأس ..

كذلك قرأ جماعة « وأرجلكم » بالجر، وترتب على ذلك خلاف بين الشيعة والسنة في أن الأرجل تغسل أم تمسح؟

وهكذا نجد أن النص العربي للقرآن المجيد يتعلق به أمور جوهرية في عقيدة المسلم وعبادته، ولا تفي الترجمة بإعجاز القرآن، وهي أشبه بمن يحنط وجهاً جميلاً فإن التحنيط لا يبقى من الجمال شيئاً..

إن إقليمية لغة القرآن لا تمنع عالمية مبادئه وقيمه، والإسلام منذ يومه الأول وهو يؤكد عالمية الرسالة المحمدية، وليس من المصادفة أن يجمع السابقون في الإسلام بين صفوفهم ممثلين لأجناس البشر، فكان بلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي..

وقد هاجر المسلمون مرتين إلى الحبشة، وعندما استقر الأمر للإسلام في العام السادس للهجرة بصلح الحديبية خاطب الرسول ﷺ زعماء العالم، وكتب رسائل شخصية إلى هرقل عظيم الروم، وكسرى عظيم فارس، وإلى النجاشي في الحبشة، وإلى المقوقس في مصر..

وعندما انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى واصل الخلفاء الراشدون الفتوحات الإسلامية التي أنقذت الإنسانية من الذل والهوان، وانتقلت بها إلى آفاق المجد والحضارة، وكانت اللغة العربية هي اللغة العالمية التي يعرفها المسلمون وغير المسلمين، فهي لغة الحكم والسياسة، وهي لغة العلم والفلسفة..

إن الناس في حاجة ماسة لمعرفة مبادئ الإسلام وهدايته للبشرية واستيعابه لمطالب الحياة الراشدة بأية لغة كانت..

أما القرآن فسيبقى وحده كتاب الإنسانية الخالد الذي يقرأ بالنص الإلهي الأول.. وإذا كان الناس قد اصطبلحوا على بقاء أسماء الأشخاص والمدن بغير ترجمة، أفلا يجدر بنا أن نحافظ على النص القرآني كعلم رباني قصد الله جل جلاله ألفاظه دون غيرها..

وصدق الله حيث يقول: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥) ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥].

وما يوجد الآن من ترجمات للقرآن ليست قرآناً ولا تأخذ أحكام القرآن، وأكثر الترجمات من صنع المستشرقين الذين لا يدينون بالإسلام، ولا تكاد تسلم ترجمة موجودة الآن من تحريف لمعنى، أو قصور في أدائه، أو جهل بأسرار اللغة العربية..

وأقصى ما نقول فيها إنها لون من التفسير قائم على اجتهاد المترجم وفهمه الخاص، مما يقرب معنى القرآن لأهل اللغات الأخرى.

ومن الأمور التي تثير الإعجاب حقاً أن تجد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يحفظون القرآن بلسانه، ويحسنون تلاوته، دون أن يستطيعوا الحديث باللغة العربية..

## تلاوة القرآن

مدارسة القرآن والاجتماع حول تلاوته هدى نبوى كريم، ولا نتصور صيماً يؤتى ثماره الطيبة بغير ذلك، وحياة المسلم مرتبطة فى كل وقت بالقرآن حفظاً وتحفيظاً، فهماً ومدارسة، حكماً وتطبيقاً... إلا أنه فى شهر رمضان أكد، استثماراً للوقت واغتناماً للفرصة، وإن الملائكة لتتنزل عند تلاوة القرآن وحسن أدائه، وفى الحديث المشهور الصحيح قال عليه الصلاة والسلام: (ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا تنزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده).

والمقصود من تلاوة القرآن: حفظه والعمل بأحكامه والتأمل فى أسرار.

ومن هنا كانت وصايا رسول الله ﷺ فى هذا المجال بمعاودة القران، أى دوام القراءة والارتباط بالمصحف ارتباطاً كثيراً والتمهل فى القراءة وحسن الصوت حتى يحس المسلم ببرد الآيات فى صدره..

وفى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مثل صاحب القرآن كممثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت».

وأخرج الإمام أحمد أن ناساً ذكروا لعائشة رضى الله عنها يقرأون القرآن فى الليل مرة أو مرتين، فقالت: «أولئك قرأوا ولم يقرأوا، كنت أقوم مع النبى ﷺ ليلة التمام، فكان يقرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء، فلا يمر بآية فيها تخويف إلا دعا الله واستعاذ ولا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغب إليه».

وذات يوم قال الرسول ﷺ لعبد الله بن مسعود: اقرأ على، فقال عبد الله: اقرأ عليك وعليك أنزل؟

قال: نعم. وفى رواية: إنى أشتهى أن أسمع من غيرى.

فقرأ ابن مسعود سورة النساء حتى أتى هذه الآية ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ فقال له الرسول: حسبك الآن. فالتفت إليه ابن مسعود فإذا عيناه تذرفان.

ومن قصد السنة وهدى رسول الله أن يعاود المسلم ختم المصحف كل شهر كحد أقصى، أو كل أسبوع كحد أدنى، فهذا أدعى لائتلاف القلب واجتماعه ووعى القراءة والتأمل.

وقد ثبت في الصحيح أن الرسول الكريم عرض على ابن عمرو أن يقرأ القرآن كل شهر مرة، فلما قال له: إنى أجد قوة، قال عليه الصلاة والسلام: فاقراه في سبع ولا تزد على ذلك.

وقد قال العلماء: إن النهي هنا ليس للتحريم، كما أن الأمر ليس للوجوب وإنما هو للإرشاد، والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له كمال فهم ما يقرؤه، وكذا من كان مشغولاً بنشر العلم وغيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصود له، وإن لم يكن من هؤلاء فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل.. فالشعار العام قول الرسول الكريم: «اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا عنه».

ومع أن القرآن كله نور وضياء، وجميعه هدى ورحمة وشفاء إلا أن فيه سوراً وآيات اصطفاها الله عز وجل وخصها بمزيد الثواب والفضل..

فسورة الفاتحة أعظم سور القرآن.. ففي صحيح البخارى عن أبى سعيد بن المعلى رضى الله عنه قال: كنت أصلى بالمسجد فدعانى رسول الله ﷺ فلم أجبه ثم أتيتته فقلت: يا رسول الله إنى كنت أصلى فقال: ألم يقل الله تعالى ﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم﴾ ثم قال: لأعلمنك سورة هى أعظم سورة فى القرآن قبل أن تخرج من المسجد، فأخذ بيدي فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله إنك قلت: لأعلمنك أعظم سورة فى القرآن قال: الحمد لله رب العالمين هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته.

وسورة البقرة مطردة للشيطان وحصن البيت المسلم، وفي صحيح الحديث قال عليه الصلاة والسلام «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان يفر من البيت الذى يقرأ فيه سورة البقرة».

وسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، وقد سمع رجل على عهد رسول الله رجلاً يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ يرددّها ليلاً، فلما أصبح جاء إلى النّبي ﷺ فذكر ذلك له وكان



الرجل يتقالتها فقال عليه الصلاة والسلام: والذي نفسي بيده إنها تعدل ثلث القرآن.

وفي فضل سورتي البقرة وآل عمران جاء قوله ﷺ - كما رواه الحاكم وقال - صحيح على شرط مسلم - « تعلموا البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان تظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف ».

وفي ثواب قراءة آيات من أول سورة الكهف أو من آخرها روى مسلم بسنده عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال ». وفي رواية للحاكم على شرط مسلم: من قرأ الكهف كما أنزلت كانت له نوراً يوم القيامة من مقامه إلى مكة، ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يسلط عليه، ومن توضأ ثم قال: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك كتب في رق ثم طبع بطابع فلم يكسر إلى يوم القيامة ».

وأعظم آية في القرآن هي آية الكرسي فقد قال الرسول لأبي بن كعب: يا أبا المنذر أتدري أى آية من كتاب الله معك أعظم، قال أبى: الله لا إله إلا هو الحى القيوم فضرب رسول الله في صدره وقال: ليهنك العلم أبا المنذر « أى هنيئاً لك العلم .. رواه مسلم.

وهكذا فإن القرآن كله عظيم، ومع ذلك فإنه يتفاضل في ثواب قراءته، الأمر الذى يجعل المسلم يسارع إلى مرضاة الله واكتساب الحسنة، فيواصل قراءة القرآن بأجمعه ويخص هذه السور والآيات المصطفاة بمزيد القراءة والتأمل عسى أن يناله الشفاء وتعمه الرحمة ويسعد فى الأولى والآخرة ..

وصدق الله حيث يقول ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

## تعلم القرآن وتعليمه

القرآن دستور هذه الأمة ومصدر قوانينها، وبه عزها وفخارها، قال تعالى: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿ [ الزخرف : ٤٣ ، ٤٤ ] .

وميزة هذا القرآن المجيد أنه محفوظ فى الصدور وفى السطور، يتواتر نقله إلى يوم القيامة لا تسقط منه كلمة ولا يزداد فيه حرف، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [ الحجر : ٩ ] .

وقد توافرت الأسباب والدواعى على حفظ القرآن وتحفيظه، وجاءت النصوص الشرعية تبين شرف ذلك وفضله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ (٢٩) لِيُؤْتِيَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿ [ فاطر : ٢٩ ، ٣٠ ] وقال ﷺ فى صحيح الحديث « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » .

وأول معلم للقرآن هو جبريل الأمين فقد جاء إلى رسول الله ﷺ لأول مرة فى غار حراء وقال له: اقرأ، ونزل قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [ العلق : ١-٥ ] .

وكان جبريل يتنزل على رسول الله ﷺ فى شهر رمضان من كل عام يدارسه القرآن حتى كان العام الأخير من حياة المصطفى فدارسه القرآن مرتين حتى استشعر الرسول ﷺ انتهاء أجله لأن القرآن قد تم والرسالة قد كملت ..

وشرف تعلم القرآن وتعليمه مبنى على مجموعة اعتبارات :

١ - العلم عمومًا له فضل وشرف ومنزلة ويكفى أن نقرأ قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [ فاطر : ٢٨ ] وأفضل العلم ما كان متصلاً بكلام الله عز وجل ومعجزة نبيه المصطفى ﷺ فالقرآن أشرف العلوم، ومعلم القرآن أفضل المعلمين ..

٢ - تعلم القرآن وتلاوته لها الثواب الجزيل فقد قال ﷺ فى صحيح الحديث « اقرأوا

القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيحاً لأصحابه .

وفي حديث رواه أبو داود « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها » .

فيذا انضم إلى تعلم القرآن التعليم للآخرين ومساعدتهم على حسن التلاوة كان ذلك شرفاً كبيراً فإن النفع المتعدى خير من النفع القاصر .

٣ - في تعليم القرآن تمكين للدعوة إلى الله عز وجل وتهيئة لمناخ الإصلاح وتعبئة الشعور نحو حقيقة الإسلام، وإرشاد للناس إلى منهج الله . . وقد قال جل شأنه ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣] .

٤ - تعلم القرآن وتعليمه أو حفظ القرآن وتحفيظه وإن كان في المقام الأول يهتم بسلامة النص القرآني وحسن الأداء له، إلا أن له بعداً ملازماً له وهو الفقه في الدين والعمل بالتشريع، ولم يكن الناس قديماً يفرقون بين الحفظ والفقه فكان الأقرأ لكتاب الله هو الأفقه والأعلم .

ويوم انفصل الفقه في الدين عن حفظ القرآن ضاعت هبة العلماء واتخذ الناس القرآن مهجوراً وجعلوه وسيلة اكتساب وحرفة تسول وتميمة علاج وصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٣٠] .

وهناك اقتراح نتوجه به إلى كل غيور على الإسلام، حريص على القيم . .

لقد أخرج البخاري في صحيحه أن أبا عبد الرحمن السلمي عندما سمع هذا الحديث « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » تفرغ لتحفيظ القرآن سنين عديدة وعقوداً متطاولة وقال : وذلك الذي أقعدني مقعدى هذا .

وأخرج أبو داود أن أبا عبد الرحمن هذا كان يقرأ القرآن خمس آيات خمس آيات اقتداء بأول ما نزل من القرآن في سورة القلم .

فحبذا لو تعاهدنا على أن نبدأ مشروعاً قومياً لتحفيظ القرآن الكريم تتبناه جميع أجهزة الإعلام المقرؤ والمسموع والرئى وتتعاون فيه وزارات التعليم والثقافة والأوقاف والأزهر، ويقوم على الخطوات التالية :

١ - حفظ خمس آيات كل يوم، يتعاهدها الصغار والكبار، الرجال والنساء .

- ٢ - تقديم هذه الآيات الخمس على طريقة المصحف المعلم في الإذاعة والتليفزيون .
  - ٣ - شرح هذه الآيات الخمس في وسائل الإعلام والمساجد والمدارس ومراكز الثقافة .
  - ٤ - الاستعانة بهذه الآيات الخمس يومياً في دروس محو الأمية .
  - ٥ - تخصيص يوم الجمعة لمراجعة ما تم حفظه ودراسة معناه خلال الأسبوع في تغطية إعلامية شاملة ..
  - ٦ - تحديد ليلة القدر كل عام لتكريم المتفوقين على المستوى الشعبى ومن كافة الأعمار ..
- فإذا علمنا أن آيات القرآن تصل إلى ستة آلاف آية تقريباً فإن عدد أيام الحفظ هي مائتان وألف يوم أى ما يستغرق أربعين شهراً، وهى تساوى ثلاث سنوات وثلاثاً، قد تزيد إلى أربع سنوات إذا تخللها توقف أو إجازة فهذه مدة زمنية يسيرة يمكن للأمة كلها أن تستوعب حفظ القرآن كله خلالها ..
- فهل من هيئة رشيدة ومجموعة حكماء يتبنون هذا المشروع القومى لإضاءة العقول والقلوب بنور الله عز وجل ١٩

## شفاعة القرآن

أخرج مسلم فى صحيحه عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : اقرأوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » .

\* \* \*

قراءة القرآن من القربات التى يعظم ثوابها عند الله تعالى، لأنها علم وعمل، ذكر وعبادة، دعاء ومناجاة ..

فقراءة القرآن تصحيح العقيدة وتبين صالح الأعمال، وتصل القلب بالله، وتجعل اللسان رطباً بذكر الله، وتدفع المسلم إلى الضراعة الخاشعة لله، ولهذا جاء فى حديث رواه الحاكم وصححه :

« إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله، والنور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن استمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يزيغ فيُستعذب، ولا يُعوج فيُقوم، ولا تنقضى عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد، اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته، كل حرف عشر حسنات، أما إنى لا أقول ألم حرف، ولكن ألف ولام وميم » .

وفى حديث رواه الترمذى وقال حسن صحيح : « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » ... وشفاعة القرآن لأصحابه يوم القيامة تظاهرت عليها نصوص الأحاديث، وكيفية هذه الشفاعة وحقيقتها ومناجاة القرآن لله عز وجل مما نفوض علمها إلى الخلاق العليم .

ونؤكد أن شفاعة القرآن تعنى فى النهاية ما يمنحه الله لقارئ القرآن من ثواب عظيم ومنزلة رفيعة ونعم لا تعد ولا تحصى .. وفى حديث رواه ابن حبان عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « القرآن شافع مشفع وماحل مُصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار » .

فالقرآن شافع أى طالب للشفاعة لأهله، ومشفع أى مقبول الشفاعة عند الله عز وجل، وماحل أى ساع إلى الخير أو خصم مجادل عن صاحبه، ومصدق أى يصدقه الله فيما يقوله عن حملة القرآن المعظمين لشعائر الله .

## شفاعة سورتي البقرة وآل عمران

أخرج مسلم من صحيحه بسنده عن أبي أمامة الباهلي قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول: اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما ».

لسورتي البقرة وآل عمران فضل خاص ومنزلة كريمة، فهما تسميان الزهراوين لكثرة نورهما وعظم هدايتهما واشتمالهما على أمور الدين وعقائد التوحيد وأحكام التشريع بتفصيل كبير..

وعندما يقرأ المسلم القرآن المجيد ويتأمل هاتين السورتين تعظم في نفسه نعمة الله عليه، ويشرق قلبه بنور الله ويتعلم ما يسعد به في الدنيا والآخرة..

وقد اشتملت سورة البقرة على أعظم آية في القرآن وهي آية الكرسي، وأطول آية وهي آية المداينة، ونزلت الآيتان الأخيرتان في سورة البقرة من كنز تحت عرش الرحمن، ومن قرأهما في ليلة كفتاه.

وسورة آل عمران تحكي تاريخ المسلمين في بدر وأحد، وتحدد علاقة المسلمين بأهل الكتاب، وتحدث عن فريقين متقابلين بينهما بعد المشرقين هما المنافقون الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا، والشهداء الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل..

وكانت الآيات العشر في ختام سورة آل عمران يقوم بها النبي ﷺ ليلاً وينظر في السماء ويقرأها ثم يقول، ويل لمن يقرأ هذه الآيات ثم لم يتفكر فيها ثم يبكي ويدعو الله قائلاً: اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي سمعي نوراً، وفي بصري نوراً، وعن يميني نوراً، وعن شمالي نوراً، ومن بين يدي نوراً، ومن خلفي نوراً، ومن فوقي نوراً، ومن تحتي نوراً، وأعظم لي نوراً يوم القيامة.

هاتان السورتان تأتيان يوم القيامة شافعتين لأصحابهما، والتعبير بالصحبة يدل على كثرة الملازمة في التلاوة والتأمل والعمل والالتزام.

هاتان السورتان ضرب الرسول الكريم لهما ثلاثة أمثلة « كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف » والغمامتان والغيايتان: كل شيء أظلم الإنسان فوق رأسه، والفرقان: الجماعتان..

تتقدم هاتان السورتان بهذا الشكل تدافعان عن صاحبهما وتشفعان له عند الله عز وجل ويجعلها الله تنطقان بما كان يقوم به المسلم من عناية بالقرآن ورعاية لأدابه والتزام بأحكامه، فيقبل الله تعالى شفاعتهما ويحقق لصاحبهما فوزاً وفضلاً عظيماً..

## شفاعة سورة الملك

روى أبو داود والترمذى وقال : حديث حسن، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من القرآن سورة، ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له » .

\* \* \*

يخبرنا الصادق المصدوق ﷺ بشفاعة سورة الملك، وهى سورة مكية، عدد آياتها ثلاثون، وتبدأ بتقديس الله وتنزيهه وإثبات قدرته المطلقة وسلطانه العظيم على الملك والمملوك، قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك : ١] .

وتسمو بعقل الإنسان إلى آفاق الماضى والحاضر والمستقبل وتبسط أمام ناظره آيات الانفس والآفاق .. قال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾ [الملك : ٣] وتدفع هذه السورة الكريمة الناس إلى المسارعة إلى الخير والبر والمعروف قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله، يقف فيه الكافرون موقف الهوان والحسرة ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (١٠) فاعترفوا بذنوبهم فسحقاً لأصحاب السعير ﴿ [الملك : ١٠ - ١١] .

وتعدد السورة نعم الله فى الخلق والرزق والإحياء والإماتة لتصل إلى جوهر الحقيقة فى إيجاز شديد ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الملك : ٢٤] .

فالمبدأ من الله والمرجع إلى الله، ولا مجال لقول قائل ﴿ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الملك : ٢٥] فالجواب حاضر وبدهى ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [الملك : ٢٦] فالموعد لن يخلف، ومهمة الرسول هى البلاغ، والعاقل من استخدم نعم الله فى طاعة الله ..

وهكذا فإن تلاوة سورة الملك والتأمل الواعى فى آياتها وانسراح الصدر بها عملاً وسلوكاً يجعل المسلم محلاً لشفاعة هذه السورة الكريمة، وتقوده حتى يغفر الله له، وتسلمه إلى الجنات ونعيمها ..

## شفاعة قارئ القرآن

خرج الترمذى وابن ماجه بإسنادهما عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ القرآن فاستظهره، فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله به الجنة وشفعه فى عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار » .

\* \* \*

من معالم الحياة الإسلامية حفظ القرآن وتحفيظه، كى تتواصل السلسلة المتواترة بنقل القرآن المجيد فى أجيال الأمة سليماً من التحريف، بعيداً عن التبديل والتغيير، تحقيقاً لوعده الله فى قوله عز وجل : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] .

ثم إن الأمة ترتحن سعادتها فى الأولى والآخرة بالولاء لهذا الكتاب الخالد، فهو ذكرها وشرفها، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٤] .

وقال جل شأنه : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠] .

وقارئ القرآن العامل به، الملتزم بأحكامه، المعتز بدينه، له منزلة رفيعة عند الله عز وجل، فهو يدخل الجنة مكرماً، ويعلو فى درجاتها بقدر ما يحفظ، ففى حديث رواه أبو داود وابن حبان والترمذى وقال : حسن صحيح - قال عليه الصلاة والسلام « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها » .

ومن تكريم الله تعالى لقارئ القرآن أن يمنحه شفاعة مقبولة لجماعة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار.. أى أنهم ارتكبوا معاصى يترتب عليها وعيد إلهى، لكن هذه المعاصى لم تخرجهم عند دائرة الإيمان، فإن الكافر مخلد فى جهنم لا يموت فيها ولا يحيا أما العاصى فيستحق العذاب بقدر معصيته ثم قد يعذب عذاباً مؤقتاً وقد يعفو الله عز وجل لحكمة يعلمها..

هنا يأتى قارئ القرآن المستظهر له أى الحافظ لآياته، والذي يحل حلاله ويحرم حرامه أى الملتزم بالأحكام الشرعية، فيشفع فى عشرة من أهله بعد أن يأذن الله ويرضى، وتكون هذه الشفاعة مقبولة إما بالعفو المطلق وإما بإخراجهم من العذاب المؤقت، وذلك على سبيل التكريم لحملة القرآن والإعلاء لشأنهم..



البحث السادس

## الرسول والأعياد

- حكمة الأعياد.
- تكبيرات العيد.
- صلاة العيد.
- بهجة العيد.

## حكمة الأعياد

ارتبطت الأعياد في الإسلام بمواقف مشهودة وعبادات جليلة، فهناك عيدان سنويان هما: عيد الفطر ويرتبط بشهر رمضان المبارك، وعيد الأضحى ويرتبط بمناسك الحج المقدسة.. وهناك يوم أسبوعي يشبه العيد يلتقى فيه المسلمون على صلاة جامعة وتوجيه راشد هو يوم الجمعة.. وأخرج أبو داود والنسائي بإسناد صحيح عن أنس قال:

قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: (قد أبدلكم الله بهما خيراً منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر).

وهكذا يتسامى المسلمون بالأعياد، ويربطونها بأمجاد. ويتحقق فيها البعد الروحي العميق، ويكون لها من العموم والشمول ما يجعل الناس جميعاً يشاركون في تحقيقها، ويستشعرون آثارها المباركة، ويعيشون أحداثها كلما دار الزمن وتجدد العيد، فليست الأعياد في الإسلام ذكريات مضت أو مواقف خاصة لكبراء وزعماء، بل كل مسلم له بالعيد صلة وواقع متجدد على مدى الحياة.

وإظهار السرور في العيدين مندوب، وذلك من الشريعة التي شرعها الله لعباده، وترويح البدن وبسط النفس بما ليس محظوراً ولا شاغلاً عن الطاعة من أدب العيد..

وتحكى عائشة رضي الله عنها - كما في صحيح مسلم - قالت: جاء حبش يزنون في يوم عيد في المسجد، فدعاني النبي ﷺ، فوضعت رأسي على منكبه فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا التي أنصرف عن النظر إليهم.

أي أن الرسول الكريم دعا زوجه السيدة عائشة لمشاهدة لعب الحبشة بحراهم في المسجد على قريب من هيئة الرقص. فمعنى «يزنون» يرقصون.. وكانت عائشة حريصة على هذه المشاهدة حتى قالت في رواية أخرى: رأيت رسول الله ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون وأنا جارية، فاقدروا قدر الجارية العربية الحديثة السن.

والمعنى أنها لحدائث سنها تحب اللعب والنظر إلى اللاعبين حباً بليغاً، وتحرص عليه ما أمكنها، ولا تمل منه إلا بعدد من تطويل..

ومما يؤكد هذا التقرير من رسول الله ما ورد في رواية مسلم قال: بينما الحبشة يلعبون عند رسول الله ﷺ بحراهم إذ دخل عمر بن الخطاب فأهوى إلى الحصباء يحصبهم بها.. فقال له عليه الصلاة والسلام: دعهم يا عمر..

## تكبيرات العيد

هذا ويختص العيد في الإسلام بالتكبير من كل المسلمين رجالاً ونساء وأطفالاً من ليلة العيد إلى أن يدخل الإمام في صلاة العيد، وسواء في ذلك المساجد والمنازل والأسواق وغيرها. وإليه الإشارة بقوله تعالى في آيات الصيام: ﴿وَلِتَكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقال سبحانه في آيات الحج ﴿كَذَلِكَ سَخَرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ [الحج: ٣٧] لأن العبادة العامة يستحب الإعلان عنها وشكر الله عقب أدائها.. حتى الصلاة اليومية قال الله تعالى عنها: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]. وقال جل شأنه: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ [ق: ٤٠].

ولهذا جاءت السنة باستحباب التسبيح والتحميد والتكبير بعد الصلوات المكتوبات.

وقال ابن عباس - كما في صحيح البخاري - : كنت أعرف انقضاء صلاة النبي ﷺ بالتكبير. وفي رواية: أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي ﷺ.

وذهب بعض الفقهاء إلى أن تكبيرات عيد الأضحى تستمر عقب الصلوات الفرائض إلى عصر اليوم الثالث من أيام التشريق.

ولاهمية هذا التكبير كان من هدى رسول الله أن يذهب لصلاة العيد من طريق ويرجع من آخر حتى تتردد بين جنبات الكون تكبيرات المسلمين، والأفضل أن يتناول المسلم شيئاً قبل خروجه لعيد الفطر ليقطع أثر الصوم، وفي الحديث المتفق عليه: كان ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات.. والأمري يختلف في عيد الأضحى، فلا يأكل شيئاً قبل الصلاة حتى يعود منها ويأكل من أضحيته التي يذبحها بعد عودته، احتفالاً بهذا اليوم المشهود وتوسعة على المسلمين.

## صلاة العيد

من هدى رسول الله أن يشارك المسلمون جميعاً في حضور صلاة العيد حتى ولو لم يؤد البعض الصلاة لعذر شرعى وتحدثنا أم عطية كما في الصحيح قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن في الفطر والأضحى العوائق والحِيض وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين.

والعوائق: جمع عاتق وهى الفتاة التى لم تتزوج. وذوات الخدور: هن السيدات المتزوجات.

ويصف لنا جابر بن عبد الله رضى الله عنه صلاة العيد مع الرسول الكريم فيقول - كما فى مسلم - : شهدت مع رسول الله ﷺ يوم العيد. فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة ثم قام متوكئاً على بلال، فأمر بتقوى الله وحث على طاعته، ووعظ الناس وذكرهم. ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن فقال: تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم. فقامت امرأة من واسطة النساء سفعاء الخدين<sup>(١)</sup> فقالت: لِمَ يا رسول الله؟ قال: لأنكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير. فجعلن يتصدقن من حليهن، يلقيهن فى ثوب بلال من أقراطهن وخواتمهن.

وصلاة العيد ركعتان، يكبر فى الأولى سبعاً سوى تكبيرة الإحرام، وفى الثانية خمساً<sup>(٢)</sup> سوى تكبيرة القيام. وتجاوز جماعة، وعلى انفراد، ووقتها ما بين طلوع الشمس وزوالها.

ويخطب الإمام بعدهما خطبتين، يكبر ندباً فى افتتاح الخطبة الأولى تسعاً، ويكبر فى افتتاح الثانية سبعاً..

وليس لصلاة العيد أذان ولا إقامة.

(١) واسطة النساء: أى من خيارهن أو جالسة فى وسطهن، وسفعاء: أى فيها تغير وسواد.

(٢) هذا هو المشهود وهناك آراء أخرى تزيد فى التكبير أو تنقص منه سواء فى الصلاة أو فى الخطبة.

## بهجة العيد

فى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت: دخل على رسول الله ﷺ وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعث، فاضطجع على الفراش وحول وجهه، ودخل أبو بكر رضى الله عنه فانتهرنى وقال: مزمار الشيطان عند رسول الله ﷺ، فأقبل عليه رسول الله ﷺ وقال: دعهما، ولما غفل غمزتهما فخرجتا.

نحن هنا أمام موقف من مواقف بيت النبوة: لقد دخل الرسول بيته يوم العيد فوجد زوجته أم المؤمنين عائشة تستمع لغناء جاريتين تغنيان بإنشاد شعر قيل يوم بعث، وهو اسم حصن للأوس وقعت الحرب عنده بينهم وبين الخزرج، واستمرت المعركة مائة وعشرين سنة حتى جاء الإسلام فألف الله بينهم ببركة النبى ﷺ.

وفى بعض الروايات للحديث أنه كان مع الجاريتين دف كما فى مسلم أو دفان كما فى النسائى.

فلما رأى النبى ﷺ ذلك لم ينكره على عائشة، بل اضطجع وحول وجهه، لأن مقامه يجزئ عن الإصغاء لذلك.. وبعد فترة دخل الصديق فانتهر ابنته لتقريرها الغناء فى حضرة الرسول الكريم، وظن أنه ﷺ نائم فقال: أمزمار الشيطان عند رسول الله؟!

والمزمارة والمزمار مشتق من الزمير وهو الصوت الذى له صفير، ويطلق على الصوت الحسن وعلى الغناء، وأضافها للشيطان لأنها تلهى القلب عن ذكر الله تعالى.

هنا أقبل عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال له: دعهما، أى الجاريتين. وفى رواية «دعها» أى عائشة، ثم بين له الحكمة فقال: يا أبا بكر، إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا. أى أنه يوم سرور شرعى فلا ينكر فيه مثل هذا القدر من اللهو المباح.

وقريب من هذا المعنى ما جاء فى الصحيح أيضاً أن عائشة رضى الله عنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال نبي الله ﷺ: يا عائشة، ما كان معكم من لهو، فإن الأنصار يعجبهم اللهو؟

وفى رواية: فهلا بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغنى؟ قالت عائشة: ماذا تقول؟ قال عليه الصلاة والسلام: تقول:

أتيناكم أتيناكم  
فحيانا وحياكم  
ولولا الحنطة السمرا ما سمنت فتياكم  
وفى رواية أخرى:

لولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم  
ولولا الحنطة السمرا ما سمنت عذاراكم

ومن الأمثلة التي يسوقها المحدثون على رفق رسول الله ﷺ وحسن عشرته ما جاء في الصحيح أنه كان للرسول الكريم حاد حسن الصوت يقال له (أنجشة) وكان يسوق إبلا عليها نسوة رسول الله ﷺ وهو يحدو وينشد شيعاً من القريض والرجز وما فيه تشبيب، فقال عليه الصلاة والسلام: يا أنجشة، رويدك سوقاً بالقوارير.

فسمى النساء (قوارير) لضعف عزائمهن، تشبيهاً بقارورة الزجاج، لضعفها وسرعة انكسارها. والمعنى: أنه عليه الصلاة والسلام لم يأمن أن يفتنهن ويقع في قلوبهن حداؤه، فأمر بالكف عن ذلك.

وقد اختلف العلماء في حكم الغناء ما بين محل ومحرم. وخلاصة القول في هذا المجال أن الغناء بمعنى الصوت الحسن لرجل أو امرأة من المباحات في الأصل، ومن اللهو البرئ، وبحيث يظل في حدود القدر المعقول، ولكن الحرمة تكمن في فحش القول أو إثارة الغرائز أو إظهار المفاتن أو مصاحبة خمر ومجون.. أو إسراف بحيث يتخذ ديدنه ويقصر عليه أكثر أوقاته.

ويسوق الإمام الغزالي في إحيائه تشبيهاً على إباحة القليل من الغناء دون الكثير، فيقول: (واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاستحسان الخال (١) على الخد، ولو استوعبت الخيلان الوجه لشوخته، فما أقبح ذلك، فيعود الحسن قبحاً بسبب الكثرة، فما كل حسن يحسن كثيرة، ولا كل مباح يباح كثيرة).

هذا، وليكن معلوماً أن واقع الغناء المعاصر قائم على الدنس والابتذال، وهو معول هدم للقيم، وتفتيت لبناء المجتمع بوسائل الرقص الفاضح، والغناء الماجن، والصور العارية، والتمثيل المحموم.. وهذا ما لا يمكن أن يقره العقل الراشد، فضلاً عن الدين الخالد.



(١) الخال: هو النقطة السوداء على صفحة الخد.

## الفهرس

| الموضوع                          | الصفحة |
|----------------------------------|--------|
| مقدمة الطبعة الثالثة .....       | ٣      |
| مقدمة الطبعة الثانية .....       | ٥      |
| البحث الأول : الرسول والأهله :   |        |
| الهلال فى اللغة .....            | ٨      |
| الشهر القمرى .....               | ٩      |
| سؤال عن الأهله .....             | ١٠     |
| مواقيت للناس والحج .....         | ١١     |
| استطلاع الهلال .....             | ١٣     |
| البحث الثانى : الرسول والصيام :  |        |
| الرسول واستقبال رمضان .....      | ١٨     |
| الرسول وأخلاق الصيام .....       | ٢٠     |
| الرسول فى فطوره وسحوره .....     | ٢٢     |
| المعاشره الزوجية فى رمضان .....  | ٢٤     |
| الوصال فى الصوم .....            | ٢٧     |
| النيابة فى الصوم .....           | ٢٨     |
| مشاركة الاطفال فى العبادات ..... | ٣٠     |
| الرسول والفطر فى رمضان .....     | ٣١     |
| صيام الرسول فى غير رمضان .....   | ٣٣     |
| أيام أفردھا الرسول بالصيام ..... | ٣٦     |

٣٨ ..... أيام يمتنع صومها

٤٠ ..... صوم الكفارات

### البحث الثالث: الرسول والعبادة في رمضان:

٤٤ ..... الرسول وقيام رمضان

٤٨ ..... دعاء قيام الليل

٥١ ..... الرسول والسواك

٥٣ ..... الاعتكاف

٥٦ ..... زكاة الفطر

٥٩ ..... التكافل الاجتماعى

٦٢ ..... الجهاد في رمضان

### البحث الرابع: الرسول وليلة القدر:

٦٨ ..... أ - العشر الأواخر

٦٩ ..... ب - القدر

٧٠ ..... ج - ليلة القدر

٧٣ ..... د - سورة القدر

٧٥ ..... هـ - ليلتان للقدر

٧٧ ..... و - حوار صحفى:

٧٨ ..... • حول ليلة القدر

٨٢ ..... • تعقيب

٨٧ ..... • تعليق

### البحث الخامس: مع القرآن في شهر القرآن:

٩٢ ..... اللقاء الأول للوحى

٩٥ ..... اللقاء الأخير للوحى



|                                |                                    |
|--------------------------------|------------------------------------|
| ٩٧                             | ..... المعجزة الكبرى               |
| ١٠١                            | ..... تذوق البيان القرآنى          |
| ١٠٧                            | ..... ترجمة القرآن                 |
| ١٠٩                            | ..... تلاوة القرآن                 |
| ١١٢                            | ..... تعلم القرآن وتعليمه          |
| ١١٥                            | ..... شفاعة القرآن                 |
| ١١٦                            | ..... شفاعة سورتى البقرة وآل عمران |
| ١١٧                            | ..... شفاعة سورة الملك             |
| ١١٨                            | ..... شفاعة قارئ القرآن            |
| البحث السادس: الرسول والأعياد: |                                    |
| ١٢٠                            | ..... حكمة الأعياد                 |
| ١٢١                            | ..... تكبيرات العيد                |
| ١٢٢                            | ..... صلاة العيد                   |
| ١٢٣                            | ..... بهجة العيد                   |



## مَكْتَبَةُ الصِّفَا

١٢٧ ميدان الأزهر - القاهرة  
١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر  
ت: ٠١٠١٤٣١١١٤ - ٣٦٨٤٦٠٤



## هذا الكتاب

كتب المؤلف دراسات عن فلسفة السيرة في عرض موضوعي يستنهض الهمم إلى

علياء الخلق العظيم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم..

ونقدم اليوم للقارئ الكريم دراسة حول « الرسول في رمضان ».

وهي تتناول ستة مباحث هي :

• الرسول والأهـلـة

• الرسول والصيام

• الرسول والعبادة في رمضان

• الرسول وليلة القـدر

• مع القرآن في شهر القـرآن

• الرسول والأعيـاد

وبهذا نضع أمام القارئ الكريم صورة صادقة وأمينة لحياة الرسول صلى الله

عليه وآله وسلم في هذا الشهر المفضل، عسى أن نحقق بها حسن الاقتداء وواجب

الطاعة وصادق الحب..

مَكْتَبَةُ الصِّفَا

١٢٧ ميدان الأزهر - القاهرة

١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر

ت : ٣٦٨٤٦٠٤ - ٠١٠١٤٣١١١٤

Bibliotheca Alexandrina



0265566

